

في الخفاء

في الخفاء

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل

الرسالة الأولى في بيان ما ينبغي من التوكل على الله تعالى
والاستعانة به وحده في كل شأن من شأني الدنيا والآخرة
والاعتماد على يده في كل حاجة من حاجتي العبد المذنب
الضعيف المذنب الذي لا يملك لنفسه نصيباً ولا حظاً في شيء مما
قد رزقنا من نعمه العظيمة والنعمة العظيمة التي لا تحصى
والتي لا يدرى مداها ولا يحيط بها العقل ولا يحيط بها القلب
والتي لا يدرى قدرها ولا يحيط بها العلم ولا يحيط بها الحكمة
والتي لا يدرى ثمنها ولا يحيط بها المال ولا يحيط بها القوة
والتي لا يدرى عظمة ولا يحيط بها الجسد ولا يحيط بها النفس
والتي لا يدرى عظمة ولا يحيط بها الجسد ولا يحيط بها النفس
والتي لا يدرى عظمة ولا يحيط بها الجسد ولا يحيط بها النفس

السلامة من عذاب الله بنصر من الله العلي العظيم
والذي لا يدرى عظمة ولا يحيط بها الجسد ولا يحيط بها النفس
والتي لا يدرى عظمة ولا يحيط بها الجسد ولا يحيط بها النفس

السلامة من عذاب الله بنصر من الله العلي العظيم
والذي لا يدرى عظمة ولا يحيط بها الجسد ولا يحيط بها النفس

السلامة من عذاب الله بنصر من الله العلي العظيم

تاج الرسائل ومنهاج الوسائل المودعة في المعاني الروحانية

كتب بها محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي إلى بعض من يكرم عليه ويعزّ لديه بمكة سنة ستماية.

رواية عبد الله المسعود بدر بن عبد الله الحبشي معتق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحرّاني عنه.
[سمع علي هذه الرسائل صاحبنا المسعود عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي معتق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحرّاني بالحرم المكي الشريف محله الكعبة وبقراءتي وسمعتها معه الشيخ العالم الصوفي أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الرومي فأذنت لهما أن يحدثا بها وبجميع تواليقي ورواياتي من أخبار وكتب سنة ستماية(....) والسماع بالحرم المكي الشريف في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة...]^(١).

(١) ما بين المعقوفين هو تصديق المؤلف ابن عربي على هذه النسخة الأصلية التي سمعها صاحبها منه بمكة في التاريخ المبين أعلاه انظر المرفقات (المخطوطات) ومكان النقط كلمات لم أستطع قراءتها.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً

هذا كتاب (تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الإلهية المودعة في المعاني الروحانية) [مما جرى بيني وبين الكعبة المعظمة عند طوافي بها من باب المكاشفة والمطالعة]^(١) إلى بعض من يكرم عليه من أصحابه، ويعزّ لديه من أترابه^(٢) بمكة سنة (ستمائة).

فقال:

الحمد لله الذي تَوَجَّني بتاج العِزَّة بعد الخضوع، وردَّاني برداء الرفعة بعد الخشوع، ووحدني بالواحدة البتول [من]^(٣) الأعيان، التي لم يطمثها إنس قبلي ولا جان، وصلى الله على السيد المختار من آل عدنان، وسلم كثيراً ما اختلف الملوان^(٤).

أمَّا بعد

فإن الله تعالى لما أنزلني [في]^(٥) حرَّمه، وأطلعني على حرمه وجمع شملي بكعبة الحُسنِ المونقة، وروضة المُزَن المورقة عاينتُ نشأةً فلكيَّة، وحقيقة ملكية، وجارية فلكية ومرتبة ملكية، وترية^(٦) مكِّيَّة.

(١) ما بين المعقوفين ضرب عليه بالحبر الأسود ثم استدرك على الهامش الأيمن من المخطوط بالقلم نفسه.

(٢) في النسخة (ط) كان السياق التالي:

[إلى من يكرم علي من أصحابي ويعز علي من أتباعي].

(٣) في (ط): (في).

(٤) الملوان: الليل والنهار.

(٥) في (خ) كتبها الناسخ (علي) ثم استدركها أعلى الكلمة بـ (في). والحرم هو البيت الحرام بمكة كما نوه عليه قبل عدة أسطر أول الكتاب.

(٦) في النسخة (ط): (رتبة).

سِثْرُ مُسَدَّلٍ، وَيَمِينٌ تُقْبَلُ، وَكَلِمَاتٌ تُقْبَلُ، وَنَفَحَاتٌ يَمِينِيَّةٌ سَرِيَانِيَّةٌ تَقْبَلُ. وَاسْتِلَامٌ وَالتَّزَامُ^(١)، وَمَصُّ رِيقٍ، وَتَعْنِيقٌ، رَخِيمَةُ الدَّلَالِ، مَعْشُوقَةُ الْإِدْلَالِ، رَائِعَةُ الْجَمَالِ، فَائِقَةُ الْجَلَالِ. غَضَّةٌ نَاضِرَةٌ، نَكْتَةٌ نَادِرَةٌ وَضَّاحَةُ الْجَبِينِ، مَعْتَدِلَةُ الْعَرْنَيْنِ، حَسَنَةُ الْقَدِّ، أَسِيلَةُ الْخَدِّ^(٢)، رَوْضَةٌ مَظْلُولَةٌ، لَا مَلُولَةَ وَلَا مَمْلُولَةَ، نَجْلَاءُ الْعَيْنَيْنِ^(٣)، رَائِقَةُ الْمَنْظَرَيْنِ، مَائِسَةُ الْعُطْفَيْنِ^(٤).

مُهْفَهْفَةٌ بَيَضاءَ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ^(٥)
تَقْتَرُّ عَنْ دُرٍّ مَنْظُومٍ، وَتَتَنَفَّسُ عَنْ مَسْكِ مَخْتُومٍ، سَبْطَةُ الْبَنَانِ، مَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ، عُنْبَرِيَّةُ النَّشْرِ، دَائِمَةُ الْبَشْرِ، صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ، قَائِمَةٌ مُنْتَصِبَةٌ، لَا تَعْتَرِضُ وَلَا تَعْرِضُ وَتَمْرُضُ بَعْدَمَا تَمْرُضُ. عَذْبَةُ الْكَلَامِ، شَهِيَّةُ الْفِدَامِ^(٦)، سَهْلَةُ الْهَوَى، صَعْبَةُ الْقِيَادِ، كَثِيرَةُ الْبَلَوَى، حَلِيفَةُ السَّهَادِ، تَقِيدُ الْخَاطِرَ، وَتَسْحَرُ النَّاطِرَ، وَتَذِيبُ الْأَشْبَاحَ، وَتَفْنِي الْأَرْوَاحَ، وَتَنْحُلُ الْأَجْسَادَ، وَتَنْضِجُ الْأَكْبَادَ، وَتَوْرِثُ الْإِحْتِرَاقَ، وَتَرْبِّي الْأَشْوَاقَ، وَتَفِي بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، صَادِقَةُ الْمَوْعِدِ، إِلَهِيَّةُ الْمُحْتَدِ، رَبَانِيَّةُ الْمَوْلَدِ، رُوحَانِيَّةُ الْمَقْصَدِ، عَزِيَّةُ الْمَشْهَدِ.

إِنْ نَظَرْتَ إِلَى عِبَارَاتِهَا قُلْتَ: عَرَبِيَّةٌ عَرَبَاءُ.

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى إِشَارَاتِهَا قُلْتَ: سَرِيَانِيَّةٌ خَرَسَاءُ. قُسِّمَتْ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَسْمَاءَ، كَمَا وَصَفَ مَحْبُوبَتَهُ فِي قَصِيدَتِهِ بِشَارِ بْنِ بَرْدٍ الْأَعْمَى^(٧) فَقَالَ:

(١) فِي النِّسْخَةِ (ط): (وَاسْتِلَامَ).

(٢) الْخَدُّ الْأَسِيلُ: هُوَ السَّهْلُ اللَّيِّنُ الدَّقِيقُ الْمُسْتَوِي (انْظُرِ اللَّسَانَ: مَادَّةُ: أَسْل).

(٣) التَّجَلُّ: بِالتَّحْرِيكِ: سَعَةُ شِقِّ الْعَيْنِ مَعَ مُحْسِنٍ، نَجَلٌ نَجَلًا وَهُوَ أَنْجَلٌ. وَالْجَمْعُ نُجْلٌ. وَنَجَالٌ. وَغَيْرُ نَجْلَاءَ. انْظُرِ اللَّسَانَ مَادَّةَ (نَجَل).

(٤) بِمَعْنَى: مَتَمَايِلَةُ الْعُطْفَيْنِ.

(٥) هَذَا الْبَيْتُ وَرَدَ مَنْثُورًا فِي النِّسْخَةِ (ط). وَقَدْ أَتَتْ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ مِثْلَ (مُفَاضَةٍ)؛ جَاءَتْ: (مُضَاضَةٌ)، وَمَصْقُولَةٌ جَاءَتْ: (مَعْقُولَةٌ).

إِنَّمَا الْبَيْتُ هُوَ مِنْ مَعْلَقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، يَصِفُ فِيهِ الْمَرْأَةَ وَاقْبَالَهَا. وَالتَّرَائِبُ هِيَ الصُّدُورُ وَالسَّجْنَجِلُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي يُرَى فِيهَا مِنْ صَقْلِهَا.

(٦) الْفِدَامُ: (مَا يُوضَعُ فِي فَمِ الْإِبْرِيْقِ قَبْلَ الشُّرْبِ) كَنَاءَةٌ هُنَا عَنْ صَفَاءِ الشَّرَابِ. وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): [إِنَّكُمْ مَدْعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَةٌ أَفْوَاهُكُمْ بِالْفِدَامِ] وَهُوَ مَا يُشَدُّ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيْقِ وَالْكُوزِ مِنْ خَرْقَةٍ لِتَصْفِيَةِ الشَّرَابِ الَّذِي فِيهِ. انْظُرِ اللَّسَانَ مَادَّةَ: (فَدَم).

(٧) (بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ) الشَّاعِرُ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ: كَانَ يُكْنَى أَبَا مَعَاذٍ وَكَانَ أَصْلُهُ فَارِسِيًّا مِنْ سَبْيِ أَصْبَهَانَ، فَوُلِدَ فِي الرِّقِّ وَهُوَ أَعْمَى، فَأَعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، وَقَالَ الشَّعْرُ وَهُوَ صَغِيرُ ابْنِ عَشْرٍ، ثُمَّ أَجَادَ فِيهِ وَمَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْأُمَرَاءَ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِلْعَجَمِ عَلَى الْعَرَبِ، وَيَصُوبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ فِي تَرْكِ السُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَقَدْ زَادَ عَلَى التَّسْعِينَ (لِسَانُ الْمِيزَانِ ج ٢ ص ١٥).

بَنَتْ عَشْرَ وَثَلَاثَ قُسْمَتْ بَيْنَ غُضْنٍ، وَكُثِيبٍ، وَقَمَرٍ

- فَعُصْنٌ لِلْحَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ.

- وَكُثِيبٌ لِلْمَقْعَدَةِ الْكَرِيمَةِ.

- وَقَمَرٌ لِلنَّظَرَةِ السَّلِيمَةِ.

أَوْ كَمَا وَصَفْتُ أَنَا فِي بَعْضِ قِصَائِدِي، وَفَرِيدَةٍ مِنْ فَرَائِدِي. فَجُمِعَتْ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَوْصَافٍ. فَقُلْتُ:

بَذَرْتُ تَحْتَ دَجْنٍ^(١) قَدْ سَمَا فَوْقَ أُمْلُودٍ^(٢) عَلَى دِغْصٍ^(٣) نَقَا^(٤)

فَزِدْتُ سَوَادَ الدَّلَالِ فِي التَّشْبِيهِ بِسَوَادِ اللَّيَالِي، فَدَلَالٌ لِإِدْلَالٍ. وَحِيدَةُ الدَّهْرِ، فَرِيدَةُ الْعَصْرِ، يَتِيمَةُ الْوَقْتِ، سَعِيدَةُ الشَّيْخِ^(٥). شَمْسٌ طَالَعَةُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، جَاوِرُهَا جَبْرِيلُ، وَاسْتَنْدَ إِلَيْهَا الْخَلِيلُ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا الْجَلِيلُ.

أَشْرْتُ لَهَا بِطَرْفِي، وَوَضَعْتُ كَفَّهَا عَلَى كَفِّي، وَتَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ، وَتَرَنَّمْنَا بِالْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ،

(١) الدَّجْنُ: ظِلُّ الْغَيْمِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ، وَالْجَمْعُ: أَذْجَانُ، وَدُجُونُ، وَدَجَانُ.

انظر اللسان: مادة (دجن).

(٢) الْأُمْلُدُ، وَالْأُمْلُدُ، وَالْأُمْلُودُ، وَالْإِمْلِيدُ، وَرَجُلٌ أُمْلُودٌ، وَامْرَأَةٌ أُمْلُودٌ، وَأُمْلُودَةُ النَّاعِمَةِ الْمُسْتَوِيَةِ الْقَامَةِ.

وَالْمَلْدَانُ: اهْتِزَازُ الْعُصْنِ.

انظر لسان العرب مادة (مَلَدَ).

(٣) الدَّغْصُ: قُوْرٌ مِنَ الرَّمْلِ مَجْتَمِعٌ، وَالْجَمْعُ: أَدْعَاصٌ. انظر اللسان مادة دغص.

(٤) (نَقَا) النَّقَاوَةُ: أَفْضَلُ مَا انْتَنَيْتَ مِنَ الشَّيْءِ.

وَانْتَقَاةٌ: اخْتَارَهُ.

وَجَمْعُ النَّقَاوَةِ: نَقَاءٌ، وَنُقَاءٌ.

وَالنُّقَا: مَقْصُورٌ مِنْ كُتْبَانِ الرَّمْلِ.

وَالنُّقُو، وَالنُّقَا: عَظْمُ الْقَصْدِ. وَقِيلَ: كُلُّ عَظْمٍ فِيهِ مُخ.

انظر: لسان العرب مادة: نقا.

(٥) فِي النِّسْخَةِ (ط): (الْبَحْتُ) وَمَا أَثْبَتْنَاهُ بِالْشَيْنِ مِنْ (خ) وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الدَّقِيقِ مِنَ الْأَصْلِ لَا مِنَ الْهَزَالِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُقَالُ لِدَقِيقِ الْغَتَّقِ وَالْقَوَائِمِ: شَخْتُ.

أَمَّا لَفْظَةُ (الْبَحْتُ) كَمَا جَاءَ فِي اللِّسَانِ: دَخِيلٌ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَعْجَمِي مُعَرَّبٌ وَهِيَ الْإِبِلُ الْخُرَّاسَانِيَّةُ.

(وَالْبَحْتُ) - بَفَتْحِ الْبَاءِ - الْجَدُّ.

وَرَجُلٌ بِخَيْتٍ: ذُو بَجْدٍ.

وَالْمَبْخُوتُ: الْمَجْدُودُ.

انظر لسان العرب مادة (بخت) و(شخت).

والناس بها طائفون، والرقباء على بابها عاكفون، وأنا وإياها تحت ثوب واحد وهم لا يشعرون. فكانت بيننا مخاطبات تأنيس، وقواعد تأسيس، تحوي^(١) على معارف روحانية، وأسرار إلهية، ومشارب محمدية، وإشارات أحدية، فسألتني بين الظهر والعصر، وقد قيدتني بنكتة العصر، أن أضرم بعض ما أشرت لها به في ديوان وأن أضعه في الآن، فقيدته كما أمرت، ولم أتعدها ما به حكمت على حد ما كانت بيني وبينها المخاطبات الروحانية، والأنفاس الإلهية في الحضرة الربانية، ورسول عبيد الأسماء تمشي بيني وبينها بالمخاطبات، وتسري بالمكاتبات، متوسلين في الاتصال الكلي، بالمقام العلوي والسفلي، حتى يقع العموم، ويتضح السر المكتوم فوضعت في هذا الجزء بعض ما تيسر في الحال، وسنح بالبال. فإن المقام جليل، والخطر كليل، والمحجوب متعوب، والمحجب منهوب، والقلب مصطلم، والنار في الجوانح تضطرم، فاقنع أيها السائل بما جرى به قلبي، فإنه ما استقر به قدمي.

والله المستعان، وعليه التكلان.

١ . الرسالة الإلهية

تَوَسَّلْ^(١) بها عبد الله إليها، ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله^(٢) إلى كعبة الحُسن، وروضة المُنن^(٣). سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد

الحمد لله والثناء، والصلاة على سر الأنبياء.

فإن زمان الاعتدال قد طل، ووجه غلام الشباب قد نقل، والأرض قد أخذت زخرفها وازينت، وأنبتت من كل زوج بهيج، قد قابلت الزهر بالزهر، والنور بالنور، فلا تعاین إلاّ حقائق في حدائق، ونغمات في رنات، إلى فنن مئاس في رملة ميعاس^(٤)، وجداول تنساب انسياب

(١) في النسخة (ط): (ترسّل) بالراء.

والصحيح ما أثبتناه من (خ) بالواو وذلك ما أثبتته المؤلف في المقدمة ذاتها حين قال: [ورسّل عبید الأسماء تمشي بيني وبينها بالمخاطبات، وتسري بالمكاتبات متوسلين في الاتصال... الخ] نهاية المقدمة السابقة. ولهذا فضلنا كلمة (توسّل) بدلاً من [ترسّل].

(٢) (محمد بن عبد الله) يقصد نفسه طبعاً.

(٣) كعبة الحُسن، وروضة المُنن.

والمُنن: السحاب عامة. وقيل: السحاب ذو الماء وقيل: المزنّة السحابة البيضاء واحداً منها مزنّة والجمع مُنن. والكعبة ليست هي المعروفة بمكة وإنما هي رمز قصده ابن عربي لقلب (القطب) الذي يُنظر حوله كالنور للكعبة. فالكعب كل ما علا وارتفع، أو أعلى الله - سبحانه وتعالى - شرفه.

ويقال في الدعاء: والله لا يزال كعبك عالياً، كناية عن طلب الشرف والعلو له.

(٤) الفنن المئاس: هو الغصن المتمايل.

الشعابين، بين فراديس^(١) الأرواح والرياحين، ومياه تطرد، وطيور تغرد، ونسيم يهب فيميل بالأغصان عليك، ويسوق روائح الأزهار العطرية في كفه ليهدئها إليك، وقد سرى النعيم في الحواس والأرواح، بوجود الذوات وهبوب الرياح.

فذاث لحس^(٢)، وريخ وروح لروح قدس، فتنبه أيها الغافل واستيقظ أيها النائم. فقد جاءك النصيح بالتصريح، وما قنع بالإشارة والتلويح.

هذه عين قد نظرت إلى بهجتها، وأذن أصغت إلى نغماتها، ويد عطفت فقطفت، ورجل سعت فوصلت، وقلب عشق فلهق، وعقل سار فحار، عين مفتونة بلون، وقلب متعشق بكون، وعقل حائر في قضية عين فلا لون انتقل، ولا كون اتحد بذات عاشقة فاتصل، ولا حاكم على وجه الحق عثر في قضية العين فحصل، فلا حبيب تدلى^(٣)، ولا محب دنا.

فعبرة تُسكب، وقلب بنار الأسى يتقلب. فإن هم الحبيب بالاتصال وجاد بالوصال، وأذن بالتجلي، فسترى أيها الطائف خيالك يتصدع، وشامخك يخشع، وآمنك يفرق، وقائمك يصعق، وروضك يحرق، وجديدك يخلق، غيرة أن تبقى عزيزاً لعزه، أو آمناً لأمنه، أو قائماً لقيوميته، أو دائماً لديموميته، فمن شاء أن يلحظ عنفوان شبابه، ويفوز به من بين أترابه، ويخرق سرف^(٤) الكم، ويجوز بحار الهم، ويجوب مفاوز الغم، فليعلم أن الفتنة في المنّة، والسنة في السينة، والمؤنة في المحنة، فلا بد من تجرّع كؤوس البلوى، والحنين إلى مواطن الشكوى، وهذ ركن القوة، ومحق رسم الشباب والفتوة، واضمحلال الرسم، وفناء الاسم، وتعثر النطق، ودحض الحجة بالصدق.

آه على قوم حرموا التوفيق، فطلبوا الراحة وأخطأوا الطريق، عليك يا كعبة الحُسن بالحزن الدائم، والهم اللازم، والتلف الكلي في وصال العلي، فما أحسن ذلك الجمال المطلق، والبهاء المحقق، والجلال الأنفس الأعلق. قدمي في مكاني، وجناني في عياني، فأنا النازح القريب، وأنت الأهل الغريب رميت بفنون الشجون^(٥)، وقيل أنت المثقف المسجون.

ولا عطفة تُزجي، ولا رحمة تُزجي، ولا رافة تتوقع، ولا فائت يُسترجع، حار والله سري،

(١) جمع (فردوس).

(٢) في النسخة (ط): (تُحس).

(٣) في النسخة (ط): (دلي).

(٤) في النسخة (ط): (سدن).

(٥) في النسخة (ط): (السجون).

وطاش لُبِّي في مجارة الأضداد، ومصادمة الأنداد، والائتلاف بشجر الخلاف، هلا ظل غيرها من الشجر كان، ولو كان النجم بدلاً من الشجر لكان أحسن في نطق الزمان.

وأين الفأل من الطيرة، وأين السيرة من السيرة، باسم الشجر عصى أب الآباء، حتى نودي به في صريح فصيح الأنباء. ذات الجسم والروح، بين الدنو والنزوح، والاغتراب والاقتراب، والسكر والصحو، والإثبات والمحو، فلا حالة تثبت، ولا أرض تثبت، سماء تبكي ثم ترفع، وأرض تضحك وقتاً ثم تخشع. أين سرّ الديمومية والثبات، أين ملازمة الالتفات، إلى متى هذا التحول من حال إلى حال، كأنه محال في محال، أواه أواه على حمل الأعباء، واختراق السماء، هلاً نزل إليّ ولا اخترقه^(١)، هلا طرق بابي ولا أطرقه، إنا لله على هؤلاء العصاة، ما أجهلهم بشرف الكلمات.

هلاً نظروا إلى سيدهم قد وسعه قلبي^(٢)، وتضمنه لُبِّي، وهم خُلِقُوا من أجلي، وعرفوا أن ما ثمَّ في الوجود مثلي، ما بال الفرصة لا تأتيني حتى أسعى إليها، ما بال الثمرة لا تنزل عليّ قبل أن أنزل عليها.

يا ليت شعري ما هذه الغلطة، وما هذه الخطّة، تفتّنت للمعنى المراد، والسر الكمين في الفؤاد، لا يتمكن لها أن ترد إليّ، ولا تنزل عليّ، لجهلها بمكاني، فلا تعرف أين تراني، فمعرفتي بها أنزلتني عليها، وحملتني إليها، ألا ترى الله معنا بهذه المثابة لما لم نعرفه لم نرحل إليه، ولا نزلنا عليه. فعرفنا فنزل، واتخذ قلب العبد بيتاً وإليه تنزّل. فلهذا التحقق الإلهي عندنا عرفنا الأشياء وما عرفتنا، فوجب علينا السعي إليها والنزول عليها.

يا حكمة ما أجلاها، وقطرة مُزّن ما أعذبها وأحلاها، لولا الجمال ما اشتبهت المال، ولولا الرذيلة ما تعشقت بالفضيلة، ولولا النقص ما رغبت في الكمال. لهذه العلة جُهِلَتِ الإشارات، ولم تُعرف العبارات، فإنه أمران فصل وجمع. فالعالم في الفصل، وأنا في الجمع. فكل شيء بالإضافة إلى ما يقابله موسوم، وبرسمه مرسوم. فلولا العلو ما سُمي السُفْل، ولولا الطيب ما عرف التفل، ولولا القشر ما عزّ اللب، ولولا العبد ما علم الرب. فالعلو لا يكون سُفْلاً أبداً. ﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾^(٣).

وأنا الذي استوى، وسقط، وطلع، وهبط، وعصم وغلط، وعلا وسفل، وارتفع ونزل.

(١) في النسخة (ط): (ولا اخترته).

(٢) تفسيراً لحديث: (ما وسعني أرضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن).

(٣) الآية رقم (١٣٥) من سورة طه.

ومن (ط): (وستعلمون) ولم توجد إشارات تفصل بين نصوص الآيات وغيرها من نص الكتاب في النسخة (ط).

يا ليت شعري: هل فهمت العقول إشاراتي؟

هل سمعت الأذان عباراتي؟

هل عُرف ما وراء هذه الحروف؟

هل عَلِمَ ما حوته هذه الظروف؟

واهاً لسرِّ مكتوم، ووعاءٍ مختوم.

وبعد:

يا كعبة الحُسن، ويا روضة المزن. قد ناجيت فيك من أوجدك، وسألت فيك من وُحِّدك. إن تصح العزائم فتتحد الأسرار، وتصحو السماء فتتقد سُرُج الأنوار، فتدعرت الشرفة قائماً، وقمت باسمه الله حاكماً. فقلت:

يا الله بك عَزَّ الذليل، واهتدى الدليل، ولاح السبيل.

نَصَبْتُ هذه الكعبة، وجعلت القلوب إليها صَبَّةً، وأنا أريد أن أصفَ لك حالةَ تعلُّمها، وصفةً لم تنزل حقيقتي تلزمها، لما أُرْخِي العنان عنانه، وزخرف الجنان جنانه، وأضحك النور نواره، وجلى طلوع الزهر أزهاره، سطع الجمال في سماء الاقبال، فتحير البال، واشتد البلبال، وفارت المراحل في الصدور، وأخذت الأسرار في الورود بعد الصدور، وعظم الخطب، وقلَّ العزاء، وجلَّ الأمر، وعمَّت البلواء. فما ترى كل زوج بهيج إلا في أمرٍ مريج. فأردتُ في سؤالك تسكين ما تحرك، وخلع من تملك، وضالة قائدة تجمع عليّ، ونفساً جموحة تدعن بالصدق إليّ، وإعدام ضد يريد عدمي، واستيلاء سلطان يثبت في مودتها قدمي، بمعونة إلهية^(١) عجماء، ودعوة سريانية خرساء، تجل وتسمو أن تُعبّر عنه حروف الهجاء، قوية الهمة، صادقة الضراعة واللجاء.

فإنه إذا بدا اللسان، وظهر البيان، وقام العيان، فأين عَزَّة الغيرة؟ وأين سلطان الحيرة؟

كل ما سطره القلم فغير منظور إليه، لأنه لو عشق لكتّم وغيرَ عليه إلاّ التعشق الإلهي المطلوب، بين الرب والمربوب، فتلك حالة مجهولة، صحيحة غير معلولة، تنافي هذه الأحوال، وتعز عن درك الإخلال.

يا عجباً! كيف تذاع أسرار المعشوق؟!

كيف ترتب عليه الحقوق؟!

(١) في النسخة (ط): (الصمة).

أليس هذا عين المحال والضلال، أحبك وأحببك لغيري وأعشقت وأختار لك شري على خيري. هذه مسألة دجالية المكان، نارها ماء وماؤها نارٌ في العيان، ومسألة نبوية في الشبهات، «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات»^(١).

والمقامان ضدّان. بين الكذب والصدق، والباطل والحق، والأمر في العين واحد، عند المشهود والشاهد.

قال الحبيب، ولم يكن في مقام الاكتراث: «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ»^(٢).

هذه صفة المحبوب لا المحب، ونعت المعشوق لا العاشق. المعشوق في الاختيار، والعاشق في الاضطرار، المعشوق في التمحيص والاختبار، والعاشق في السكون تحت مجاري الأقدار. الكتمان في المحبة أصل، لكل وجه وفصل، فتارة من باب الاحترام، وتارة شفقاً من الآلام. كما قلت:

عَلِيلُ الْجِسْمِ قَدْ هَجَرَ الْمَنَامَا	بِصَاحِبِ خِيْفَةِ الْوَاشِينَ لَامَا
يَهِيْمُ بِرُوحٍ قَدَسٍ لَا يُسَامِي	إِذَا مَا أَبْصَرَ الشَّعْرَى تَسَامَا
يَقُولُ: أَنَا الْقَتِيلُ بِغَيْرِ سَهْمٍ	وَذَاتِي كُلُّهَا مُلِئْتُ سَهَامَا
شَكُوْتُ اسْمِ الْحَبِيبِ إِلَيَّ وَحْدِي	وَرَاعَيْتُ الْمُوَدَّةَ وَالذَّمَامَا
وَلَمْ أَخْفِ اسْمُهُ حَذَرًا عَلَيْهِ	وَلَكِنِّي ابْتَغَيْتُ الْاِخْتِرَامَا

فمهما أراد المحبوب ينطق فباسم الحبيب، ومهما أراد يسمع فكلام الحبيب، وكلما أراد أن

(١) حديث: (حفت الجنة بالمكاره، وخفت النار...) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. لكن للبخاري: (حجبت بدل حفت).

وعزاه في الدرر للشيخين عن أنس رضي الله تعالى عنه. والموجود فيهما عزوه لأبي هريرة (حجبت). انظر الحديث رقم (١١٥٢) من كشف الخفاء للعجلوني ٣٦٢/١ وانظر الحديث رقم (١١٠٧).

(٢) حديث: (حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ النِّسَاءِ، وَالطَّبِيبُ، وَجَعَلْتُ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) هكذا أورده العجلوني في كشف الخفاء وقال: هكذا اشتهر على الألسنة وترجم به النجم، لكن ذكره في المقاصد وكثيرون بدون (من دنياكم) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس رفعه وكذا الخطيب في تاريخ بغداد مقتصراً على جملة (جعلت) ورواه النسائي عن أنس رضي الله عنه بهذا اللفظ، والحاكم بدون جعلت وقال: صحيح على شرط مسلم وأخرجه ابن عدي عن أنس بلفظ (حُبَّبَ).

وأخرجه أيضاً أحمد وأبو يعلى في مسنديهما. وأبو عوانة في مستخرجه والطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه وآخرون.

انظر ما أورده العجلوني فهو كثير عن هذا الحديث فضلاً عن التفسير والشروح وغيرها.

الحديث رقم (١٠٨٩) ٣٣٨/١ كشف الخفاء.

ينظر فإلى وجه الحبيب، من نظر إلى غير وجه محبوبه هلك وتلف، ومن سمع غير كلام معشوقه ندم وأسف، حبيبي بل ظلي بظلك حتى تنهل الدِّيم، خلّق ذاتي بخلق خلقك حتى تنزكي الشِّيم.

إلى متى يُقيم الدَّرَج في الدَّرَج؟ هذا أوان العجّ والثَّج^(١)، نفوس تهدي، وإبل تحدى، وضدان مخصوبان، ونّدان منصوبان، ورسائل ووسائل، واستماع واستمتاع، ومواسم في مباسم، وتباب في قباب، وثغور في ثغور، ودواهي في نواهي، وقواصم في عواصم، ونواظر في نواضر، فمن غمره الفضل، وسقاه السَّجَل، وصفاه الحب، وتصافاه القرب، وهجره الوعيد، وناقره التهديد، فذلك الذي لا يتصف بعد بالسقا ولا بالظما، ولا بالكدر والبعد، ولا ييرح في حظيرة السعد.

يا كعبة الحُسن: ما أشد وجدي عليك، وشوقي إليك، وسرد في هؤلاء الطوائف، واستغنم هذه الطرائف، فعزّيز أن يرى مثلي بربّك طائف، تحقق بهذه المعارف والإشارات، وانظر ما أومأت إليك به خلف حجاب هذه العبارات، واسنح بها على ذاتك، واآخرها بعدي لبناتك، أليست السلطنة بها بعدك أولى، أليست السلطنة بميراثك أجدر وأحرى، بالله وحيّة الحب هل يستوي العبد والمولى، فعليك بالتسليم لما أورده عليك، وواجب عليك أن تبّلع ما أنزل إليك، ولا تسل عن العلة والسبب، فقد تميزت الرتب، لما قُسمت وعُرفت النّسب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهي فيهم وهم فيها وهم لا يشعرون، فهم الجاهلون وإن عقلوا والصمّ وإن سمعوا، والعُمي وإن أبصروا، والخرس وإن أفصحوا. كم من لسان عجمي قلبه عربي، وكم من لسان عربي قلبه أعجمي، ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾^(٢).

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾^(٣).

فديت يا كعبة الحسن قلباً يفهم إشاراتي إليك، وإيمائي ومقاصدي وإيحائي، ويّين رمزها، ويفك معماها، ويحل لغزها، طلسمات سيمياوية، وتنبيهاات كيمياوية، هذه المناهج قد أنهجتها، هذه المعارج قد أبهجتها.

(١) في الحديث: (أفضل الحجّ العجّ والثَّج).

والعجّ: رفع الصوت بالتلبية.

والثَّجّ: صبّ الدم وسيلان دماء الهدى يعني الذبح.

انظر اللسان (عجج).

(٢) الآية رقم (١٧١) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة الأنفال.

أين من ينهج فيرى؟

أين من يعرج بقلبه إلى السماء؟

هذا البراق عند الباب، هذا جبريل ممسك الركاب.

هل من همّة محمدية قد ورثت ورثاً كلياً؟

هل من عزمة صمدية قوية قد نهجت منهجاً عقلياً؟

هذه المعاني في المغاني، هذه الأرواح في الأرواح، هذه الحقائق الجسام في الأجسام، ما أعذب اللثم والعناق عند العشاق، ما أطيب رائحة المحبوب، ما أشد فرح من جاد عليه دهره بالمطلوب. قطفنا من أغصان شجر الحب، وكنا في حدائق القرب، وأخبرنا عن المحبوب بما تحصل لنا من العلم الموهوب، وجرينا إلى الغاية التي أرادها، وأمطرنا بالسحابة التي ألفت علينا أكبادها، وأنبأنا عن غاية الابتداء، وأملنا ما رأينا في الانتهاء، وغنينا بقريض الازدواج، فأظهرنا السلوك والأساورة والدمالج والإكليل والتاج، فسَمِعنا عتاب من قصدناه وفهمنا منه ما أردناه، فأخذنا خاتم الملك، واستوينا به على الفُلك، وتعزّزنا بعزّه، واشتهرنا بحكمته، وأجبنا دعاء من دعوانه، واعتقدنا دين من اعتقدناه وسرنا تحت لواء حمده، إلى جنة صدق وعده، وصرخنا في مجلس سماعه، وتلذذنا بحُسن إيقاعه، وابتغينا رضاهُ إذ توخَّيناه، وسحبنا زلال^(١) برد من أحبيناه، وتقلبنا في بساط من رجوانه.

والله سبحانه يؤيدك يا كعبة الحسن في كل حال. ويحول بينك وبين المحال، ويصفي سرك إليه، وينزل بك عليه، وهذه حالة تُشتهي ولا تدرك وتُعلم ولا تُملك.

والسلام المعاد عليك

ورحمة الله وبركاته.

٢ . الرسالة القدسية

توسّل بها عبد الحي إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الحي محمد بن علي إلى كعبة الحُسنِ وروضة المُزن.
سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله حقَّ حمده، والصلاة على سيدنا محمد نبيّه وعبدّه:

فإن تعجّبي في حق الحب من الشكوى، أعظم من تعجّبي مما حلَّ به من البلوى. فإن الحب مشغول بلذة حُبّه فأين الألم، ومن لم تكن هذه حاله في الحب فليس له فيه قدم، الألم مع الإحساس والحب مخدور، الضراعة مع العقل والحب معنوه مقسور، أين أنت من المثل السائر في النقل، ولا خير في حبّ يُدبّر بالعقل.

وهذه «ليلى» وقفت على «قيس» فقال لها:

(إليك عني فإن حُبّك شغلني عنك).

وكان يمشي عرياناً لا يواريه شيء فلا عقل ولا إحساس، وكُنّا نقول بالموت فيه لولا الأنفاس.

كيف يشكو من لا يعقل؟

كيف يألم من غمرته اللذات؟

أما علمت أن شهوة الحب أعظم من سلطانه، وإن شبهتها أقوى في الصورة من برهانه، ما هذا إلّا توهم بعيد، استحكم سلطانه على قلب العاشق الوحيد. ما أحسن هذا الشأن لو ظهر ولو بالنقل، ما أبدعه لو خرج من القوة إلى الفعل، لكن العقول قد أعجبت بمداركها الفكرية، والبصائر تائهة بتصاريفها العقلية، والأذهان محجوبة باستنباطاتها الزكيّة، لو عقل العقل أنه

معقول، وعلم العلم أنه معلوم، وبصر البصر أنه مُبصر، لذل الكل تحت القهر، وغرق الكل في لُجج هذا البحر.

يا كعبة الحُسن:

هل نظرت في شأنك كيف سَوَّاك؟ حتى انهدت أركانك وقواك.

كيف لم تكن شيئاً ثم كنت؟

كيف لم تبني ثم بنت؟

وقفت على الآيات التي أنبأت عن حقيقتك، وأوضحت لك معالم طريقتك.

أين أشعارك وإحساسك؟

أين بحثك والتماسك؟

تأتي إلى عارفٍ مثلي تدخل معه في اللُجج، وتتوسط معه الثبج^(١)، وتبدي له الشُّبه في صور الحجج، وأنت لا تفرق بين العاج والسَّبج^(٢).

أظن أنني لا أعلم بمقامك ومقامك، ألت من اليسار، ألت الضلع الأعوج الذي إن أردت تقويمه تسارع إليه الانكسار، لا يصح لك أبداً الاعتدال، ولا تنتقل من هذه الحال، أجبني إن كنت صادقة، خاطبني إن كنت ناطقة، ما بالك خرساء عن مجاوبتي، ما بالك عجماء في محاورتي، أنا الحي الذي خلقت مني ثم شاركتني، حتى كنى بك عني، أنت جزئي وكلي، فيك يا عجباً الكل في الجزء حقيقة ترميها العقول، لولا الخبر المنقول، وهذه إشارة بينك وبينها سبعون ستارة، فارفع الستور، وسح على نفسك من أجل النور، فإنه محرق ذاتك، مذهب صفاتك، فإن وقفت بعد الكشف على الإحاطة، فقد دخلت بساطه، وإن عجزت عنها فاعلم أنك فيها منها. فانظر أي المنزلتين أشرف، وأي المقامين ألطف، وأي المحبوبين أظرف.

(١) اللُجج: جمع لُجة، ولُجة الأمرُ معظُمة ولُجة الماء، وكذلك لُجة الظلام ولُج الليل: شدة ظلمته وسواده. (انظر اللسان مادة لُجج).

والثَّبج: كما في حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (خيار أمتي أولها وآخرها وبين ذلك ثَبَجٌ أعوج ليس منك ولست منه).

والثَّبج: وسط الشيء. وفي الإنسان ما بين الكاهل إلى الظهر.
انظر اللسان. مادة (ثبج).

(٢) العاج: أنياب الفيلة، وقيل: من عظم الفيلة وقيل: لا يسمى غير ناب الفيلة بالعاج. والسَّبج: خرز أسود، دخيل، معرّب. والفرق بين قوة العاج وجماله وضعف الخرز واضح. انظر اللسان.

لا تقابل حياته إلا بموتك، ولا عزّه تقاومه إلا بذلك، فإنك لا ترى عزّه بعزّك، ولا حياته بحياتك، فإن [بيان] الرؤية من طريق الفيض، وأنت مستغن عنه، فكيف يأتي بي إليك بشيء منه، لا تقل قد علمت العوالم، ورتبت المنازل والمعالم، وفصلت بين طبقات الكون، وتحققت بحقائق العين، كل ذلك هباء في جنب ما غاب، وخبيث في حق ما طاب.

لله علم يتعالى عن الإشارات والعبارات، ويتسامى عن الإدراكات والإحاطات، على ذلك العلم فابحث، عساه في روعك ينفث، تشهده ولا تعبر عنه، وتجده ولا تقدر تخرج منه، يحكمك ولست تحكمه، ويعجمك ولست تعجمه، إذا حركت رياح أسبابه الشمس الفصحى بالمقال، تصدعت لها شامخات الجبال.

هذه عبارات الأسباب، من خلف سبعين ألف حجاب، فكيف لو بدت السُّبُحات، ما بقيت - كما ورد الخبر^(١) - المبصرات، فلا علم إلاّ عن عين، وعد عن كل كون، فإن الكون يحول، والغير ينتقل ويزول، وكعبة الحُسن سيدي باقية مستحيلة الفناء، لأنها الكل من غير توهم الأجزاء، بل إحاطة لفظية^(٢)، ولفظة حفظية.

كم دمع عليك مسفوح!

كم قلب عليك مقروح!

آه لشوق مزعج، وكبد بناء الهوى ينضج^(٣). هذا علم البرزخ ماسك الطرفين، ومالك الأمرين، الفاصل بين الضدين؛ كالخط الفاصل بين الظل والشمس، والمعنى الرابط بين العقل والنفس.

انظر إلى هذا التعشق الإلهي، وهذا التحقق الاعتصامي، نقّ سرك عن كل كدر، وطهر جوارحك من كل دنس، وأزل رَمَدَ الغفلة من جفحك بكحل الانتباه، وغب بكليتك في عن ملاحظة الأشباه.

إن أردت أن تحصل هذا العلم الذي تلوناه عليك، وأنزلناه إليك، تضرع إلى ربّ السماء في تحصيله، واسأل إله الأسماء في أن يوفّقك على تفصيله، وإياك أن تسأل منه الجمع فتعمى،

(١) الحديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه). رواه ابن ماجة في سننه مع اختلاف يسير في اللفظ ج ١ ص ٧١، وانظر أيضاً مسند الطيالسي ج ١ ص ٧٦، ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٢٤٥، والأربعين في دلائل التوحيد ج ١ ص ٥٦.

(٢) في (ط): (نقطية).

(٣) في (ط): (ينفج).

وتحصل في دجنة ظلماء، حيث لا ظل ولا ماء، فإن معرفة التفصيل تجمع وتحصل، ومعرفة الجمع لا تفصل، فتبقى الحيرة على أصلها لما لم تتحقق بفصلها.

وقد نصحتك فأبلغت، ودعوتك فأسمعت، فأجب الداعي، بالسمع الواعي. فقد آن الاندكاك، وقرب الهلاك، وضافت السماء بالأملاك، والاستواء بالأفلاك.

يا كعبة الحُسن:

قل لرقبائك نور وجهي عليّ رقيب وأنتم لا تشعرون، ما لكم لا تبصرون، أغميَتْ أبصاركم، أطمِست أنواركم، ما لكم تحسدوني على عارفٍ هيّمه جلالِي، وتيّمه دلالِي، وسحره غنجي وجمالي وتيّه كمالِي.

أنا الكعبة؛

التي خضعت إليّ رقاب الجبابرة، وعنت لقيوميتي وجوه الأكاسرة. كم تاج من على رأس صاحبه أسقطته، وكم ثوب من على ظهره جردته، من الذي يجرؤ أن يدخل حرّمي محلاً، أو يتخذ بيتي محلاً.

ألم تروا إلى المتألهين حين رأوني قد زالت معالمهم، وإلى الأواوين قد انتقضت عزائمهم، وإلى الأواهين قد انقضت صرائمهم. أين التائه في حيرته؟ والواجد في سكرته، والهائم في غمرته، والواله في نفرته، والمناجي في صلاته، والراتع في غلياته، والمطمئن في إشاراته، والموقن في آياته، والبالغ في عباراته، والعارف في إشاراته، والمتفنّن في كنياته.

ما لهم إذا أبصروني ذُهلوا، وبالطواف بذاتي سُغلوا، هل ذاك إلا لِسِرٍّ اختصت به على أبناء جنسي، وأودعه الحق في نفسي. فكم يغار الرقيب، وكم يروم أن يطفئ هذا اللهب، من قلب كل حازم لبيب، أسمعت القلوب الإلهية ندائي فتغاثت، وأبدت لها حجاي فطاشت، وأسفرت لها عن ظاهر وجهي فتلاشت. فكيف لو تجلّى لهذه القلوب من أسرار حسني المعنوي، وجمالي العلوي، وهي بهذه المثابة والمكانة، من المقام العلي ما عرفت رسوم ديار، ولا ندبت أطلال ولا آثار، فاعتبروا أيها العارفون في جمالي، وإقامتي على اعتدالي.

وإيّاك والغيرة أيّها الرقيب الحسود، فإن حسرتها عليك تعود، فجمالي مبذول لكل عين، وحسني متجلّ في كل كون، لما تنزّه أن يدرك، وتعالى أن يملك، لم أبال بما ظهر منه للبشر، فإنهم ما يقبلون سوى الحجر، من رأيت قط منهم غاص في بهمته، وسار في كلمته^(١)، ما

(١) في النسخة (ط): (ظلمته).

منهم أحدٌ يزيد على أن يستلم وينصرف، ويعتدل ساعة ثم ينحرف، والعارف منهم غاية أن يقر بالعجز ويعترف.

ألم تر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بعض الحركات قد وقف عند يميني، وقال لبعض أصحابه: «ها هنا ينبغي أن تسكب العبرات»^(١).

أترى ذلك سدى، أترى مبلغ ذلك مداً، فما لك والحيرة ولباسك رداء الغيرة، الله قد هتك ستري وأخفى عنهم سري، فيدورون بمعاهدي على حكم العادة، وغاية الحاضر منهم طريق العبادة، ولا يلحظ أحد منهم ما تحصل له في معناه عند طوافه بي من الزيادة. أثبت الناموس الأخشاب والناقوس، وبئس الجاسوس، الغراب أو الطاووس، يُتبع^(٢) ليري، وحسد وافترى، وأتى في حديثه بقاصمة الظهر، وقارعة الدهر، فأف لها من عسرة، وتعساً لها من غيرة. أين هم من نعت الصادقين، وصفة المخلصين، حالة حولا، وعين عورا، دجال تائه، على معنى يسير تافه، بئست ألوهية لا تدوم سوى أربعين ليلة. ويلها من حالة وويله، ولكن مُدح أيوب بالصبر، وداود بالشكر. فترادفت البلوى، وقيل إياك والشكوى.

فتراني صابرةً على دعوهم، سامعة في كل حالة نجواهم، قد سودوا يميني بخطاياهم، وكانت اليمين البيضاء، وأبلوني وكنت الجديدة الغضا، والله لأصبرن على ما قضى، حتى أحوز الرضا وأستعذب المرّ في جنبه، واستسهل الصعب رغبة في اقترابه، حتى أفوز وأجوز، وأحصل وأحوز.

فديتُك يا كعبة الحُسن:

لقد وبّخت الرقباء، وسفّحت الحكماء، وجهّلت العلماء، وأعيتت البلغاء، طبّبت وطاب كلامك، ودمت ودامت أيامك، أذهب الله وصبك، وأراح تعبك.

والسلام المعاد عليك

ورحمة الله وبركاته.

(١) حديث الرسول: (ها هنا ينبغي أن تسكب العبرات). رواه ابن ماجه في المناسك ٣٧.

انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٤٨٨/٢ مادة (سكب). وقال الإمام السيوطي:

رواه ابن ماجه، والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وفيه - يعني عند الحجر - زيادة.

انظر جامع الأحاديث ٥١/٧ حديث رقم (٢٤٣٥٧).

(٢) في (خ): (تبع).

٣ . الرسالة الاتحادية

توسّل بها عبد العليم إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العليم محمد بن علي إلى كعبة الحسن، وروضة المُرُن. سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله الأتمّ، والصلاة على سيدنا محمد الأقدم.

فإن سر الاتحاد مجهول في الأشباح، معقول في الأرواح، إذا انضم الحبيبان في الثوب الواحد، وتلاصق المتيمان بحكم الشاهد، وتعانق الشكلان تعانق اللام والألف، وارتبطا على السرّ الذي لا ينكشف، وأداما التعنيق وامتصّا الريق، فأنحدرت رطوبته الشهية إلى المعدة الغيبية، وامتزجت مع الرطوبات التي منها القلبية، ودفعتها إلى بيت الكبد، المودع في الجسد، واختلطت رطوبة ريق المعشوق بأجزاء الدم، وانتشرت بين الجلد واللحم، وفي العروق.

فكانت منها حياة ذلك الجسد، وعمارة ذلك البلد، فإن روح الحياة بخار لطيف، له سريان شريف، ينحل من رطوبة الدم، وينتشر في جميع أجزاء الجسم، به تكون الحياة في هذه الأشباح، وهو المعبر عنه بالأرواح، ومادته من الاستنشاق الهوائي بالقوة الشميّة، لترويح الحرارة التي في القلب الغريزية، فلولا هذا التبريد لوقع التبديد، وكذلك إذا تنفس الحبيبان مكافحة، وتنهدا مناوحتة خرج مع ذلك التنفس شيء من نسيم الروح، فاختلط بأجزاء الهواء، فدخل إلى خياشيمهما على السواء، فسرى في أجسامهما علواً وسفلاً سريان النور في البلور، على طريق الرئة والحلقوم إلى القلب، والتحق بعالم الغيب، فدب مع النبض والعروق الضواري، واختلط بالدم واللحم في جميع المضارب، فانعقد في بدن هذا ما تحلل من بدن هذا، فصار له روحاً، والجسم له ضريحاً.

ولما كان الروح الذي هو الحياة أحب شيء للإنسان، فصار هذا المعشوق أحب شيء إليه

في^(١) الأعيان، لاتحاد أرواحهما في الجثمان، وإلى هنا انتهى عقل العقلاء، ونظر أهل المودة والصفاء، وما قدر منهم أحد أن يزيد عليه معنى يحقق به قوله ودعواه، فإن الاعتراض منوط بفحواه، فزدنا بحمد الله عليهم في المسألة إيضاحاً، وجعلنا له الإشارة عنه مفتاحاً:

فاعلم أن النفس والريق إنما يجريان بحسب ما استقر في القلب استقرار الاستفراغ، وانتهى فيه غاية البلاغ، فحينئذ يكون ما قالوه، ويظهر ما أخبروا به وسطروه كما حكي عن الحلّاج^(٢):
إنه انكتب من دمه اسم المحبوب.

وكذلك زُليخا^(٣):

حين فصدت وقع دمها في الطست يوسف بن يعقوب.
فالذي يكون في القلب يتزايد كائناً ما كان حتى يذهب من الأذهان. ويا عجباً! كيف غفل عن هذا المعنى أصحابنا وهم أهل تدقيق وتحقيق.
فهذا يا كعبة الحُسن

قد كان بيني وبينك فقد اتحدت أرواحنا، لما تعانقت أشخاصنا، أتذكر إذ لثمت يمينك الغراء في الهاجرة، وأنت لي كالحبة الهاجرة، فانفتح يمينك حتى التقم الشهادة التوحيدية من نفسي، وزفرت عند ذلك فكاد يحرقك قبسي.

فالحمد لله الذي وحدني بك ووحدك بي، وصرت مني كأمي من أبي، هي ذاته وهي أهله، هي بعضه وهي كله، لكن يا كعبة الحُسن.

إن الله سبحانه بلطيف حكمته، وغريب صنعته، خلق أعضاء تكليفك، وفرّق بين لطيفك وكثيفك، وجعل في كل كثيف أمراً، وفي كل لطيف سرّاً، فإن أبقيت نظامها على الوضع الإلهي، والتناسب الربّاني فأنت المالك، وإن لم تجرها على وضعها، وخلطت بين ضررها ونفعها، والتبس عليك تشنيتها بجمعها فأنت الهالك.

(١) في (ط): (من).

(٢) (الحلاج): الحسين بن المنصور، أبو مغيث البيضاوي؛ ولد في الطور قرب البيضاء (فارس) وتوفي في بغداد. فيلسوف صوفي، قضى السنوات في خلوات الصوفية لا سيما مع التستري وجنيد، ثم طاف البلدان داعياً إلى الزهد، اتهم بالزندقة والقول بالحلّول فحكم عليه وسجن ثماني سنوات في بغداد ثم عذب وصلب. أنشأ مذهباً في التصوف وأثار حوله الجدل، فقدسه البعض وكفره غيرهم. مؤلفاته باللغة العربية. ولم يبق منها إلا «كتاب الطواسين» توفي ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م.

(٣) (زُليخا): أم محمد الأصبهانية وقيل أم الضياء، بنت أحمد بن فضلوويه الجمال الأصبهاني. سمعت أبا محمد رزق الله التميمي وأبا عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي وجماعة سواهم وكتب عنها معمر المفيد سنة خمسة وأربعين وخمسمائة.

هيهات ^(١) أيحسب الإنسان أن يُترك سُدىً) وكأني بك قد بلغت المدى، اجعل العالم شهداء لك لا عليك، وشاردين من كل أحد إليك، عشقهم بذاتك عشق من لاح له من ذلك علم النجاة، وشوقهم إليك تشوق من لاحظ الفوز في تحصيل الدرجات، فامتطى بعملات الأعمال، ورقص به الآل، وواصل البكور بالآصال، رغبة في المشاهدة والوصال.

إيه يا قرة العين، يا حلب الكبد، أصبحت مني كذراع من عضد، أزعني ^(٢) سمعك، وهبني جمعك ^(٣).

خرجنا يوماً إلى السياحة في فلوات المعاني، وتجردنا للسباحة في بحر المثاني، فلقينا قوماً جدواً للبغية، وكثروا لتحصيل المنية، وتحلوا بأسنى حلية، فتأهوا في تيه الخشية، فنالوا الرضا بالإنضا، وحازوا الجد بالجد، نظروا بنور الله فأدركوا، ونطقوا بذكر الله فتملكوا، وقدسوا نفوسهم من درن المخالفة، فخلوفوا وعاینوا ملكوت الحقيقة الإلهية فعموا فضوعفوا، واعتمدوا على قدم الصدق اليونسي فاطمأنوا، وامتألت جوانحهم بسرائر العشق فبدأ عليهم ما أكنوا، ترادفت عليهم المن الربانية فلم تبق فيهم متسعاً للطمع في غيرها فعصموا، زهوا بخدمته بين عبيده لما اصطنعهم لنفسه فحكموا، خالط حب المنزل بشاشة قلوبهم، فما عاجوا ولا عرجوا، فنودوا فتلذذوا. فقيل لهم: ادرجوا. فما درجوا.

واعجباه. من مخالفة توجب قزباً، وحسنة موافقة تورث عُتْباً، جاعوا فخصبوا، حزنوا فلعبوا، تمسكنوا حتى تمكنوا، تملقوا حتى تحققوا، توسلوا حتى تواصلوا، وخذوا حتى اتحدوا، أنسوا فلم يستوحشوا، استعملوا الأقدام إليه، فنزل بهم عليه، فلما كشف لهم عن وجهه، لم يروا سواهم فهم العبيد والموالي، والأسافل والأعالي، نفسي الفداء لقلب يفهم، أو سر يعلم، للدهر حوادث ومصائب، وسهام ماضيات صوائب، لكن منها سهام تُبَصِّرُ فتتقى، ومنها سهام معنوية ترمى بها القلوب من قسي المكر فلا تتوقى، فموقع مثل هذا السهم لذيد في الحال، فظيع المرارة في المال، فإن سهام الرزايا إذا رمي بها عن قسي المكر لا يظهر فيها شيء من النكر، فالحكم للوقت، فإما بالبخت، وإما بالمقت، شمس تدور، وقضاء في ذلك الدوران يغور، تصاريף الأقدار رسالات رسل الليل والنهار، بياض وسواد، شقاء وإسعاد، رسولا أضداد، البغية فيهما مجهولة، وكلمتهما عند الله مقبولة، لأنهما الأمينان على كل ذات لما نصبت، وهو

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة القيامة.

(٢) يقال: زَعَنَ إلى الشيء إذا مال إليه.

وفي رواية في حديث (عمرو بن العاص): أردت أن تبغ الناس عني مقالة يزعمون إليها أي: يميلون إليها. انظر اللسان مادة (زعن).

(٣) في النسخة (ط): (أعيرني سمعك وهبني جمعك).

القائم على كل نفس بما كسبت، قليل الجنة في الدنيا والقصوى، ونهار لسعير في الآخرة والأولى هما اللذان يأتيان بالكسب، ويوبخان بالعتب، ويستدرجان بالنعم المشوبة، ويُعرفان بأنها المطلوبة، فلا تلتجى لاستغنائها وتريد من مولاها أن يحط بفنائها.

إلى هذا انتهى أمر هذه النفس الخسيسة، الكريمة الرئيسة، تأملت سر الاتحاد في الليل والنهار، الليل هنا لباس وعذاب في دار البوار، والنهار هنا عذاب ونعيم في دار القرار، والنفس في هذا كله لاهية، ليس لها لما أورد عليها أذن واعية، ما أسرع ما تلحقها الرزايا، وتختلسها المنايا، وتحيط بها البلايا، وتجرعها الغصص، وتكون أشأم مفترض يفترض فلو عرفت حقيقة نفسها، لفرقت بين يومها وأمسها، وعقلها وحسها.

أما علمت هذه النفس أن لها ثلاث قوى في ست حضرات تتصرف تحت حكمها، وتمشي على مقتضى علمها، قوة ناطقة حضرتها الدماغ ولها فيه منازل، على عدد النوازل، يحفظها في اللفظ، الخيال والفكر والحفظ، والخيال في مقدم الدماغ لتلقي المحسوسات، والفكر في وسط الدماغ للتمييز والترجيح في القضايا والحكومات، والحفظ لصون ما حكم به الفكر في القضايا، حتى تمس الحاجة إليه فتلقه بين يدي الحاكم، هذا حكم له لازم، فالفكر حاكم محقق، والخيال شاهد مصدق، والحفظ أمين موثق.

فهذه القوة الناطقة بكمالها قد تميزت، وفي صدر موكبها قد تبرزت، فهي السيدة السلطنة. وأمّا القوة الثانية فهي القوة الغضبية، وحضرتها القلب، ولهذا لها الاسم الرب، وهي لهذه الناطقة أجناد الاستعانة.

وأمّا القوة الثالثة فهي القوة الشهوية، وحضرتها الكبد ولهذا لها تدبير الجسد، وهي لهذه الناطقة رعية الاستكانة.

فإذا جزوا على ما أهّلوا له بالحدّ الموضوع، والعهد المشروع، والتصرف المعبودي الحكمي فازوا وربحوا، وإن عدلوا عن هذا الحدّ الأمري، إلى الحدّ الإرادي، ونزلوا بالحكم الاختياري، الإلهي من جانب الغرض النفسي خابوا وخسروا، «فمن عرف نفسه عرف ربه»^(١)، ومن عرف الله عرف قلبه، فكن مع الرب لا مع الله، فربي وإن كنت مع الله فمن كونه ربّاً، فإن ذلك رحمى الأبد، ونعمى الخلد.

ثم لتعلم يا كعبة الحُسنِ الفائق:

(١) حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه). قال ابن تيمية موضوع. وقال النووي قبله ليس بثابت. انظر المصنوع ج ١ ص ١٨٩ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٣٤٣.

أن في الوجود نكتة غابت عنها عقول كثيرة، وعمي عنها كل بصر وبصيرة، وذلك أن الإنسان إذا كان في شيء لم يَرِ حقيقته ومعناه، وإذا صار عنه أجنبياً رآه، والنفس إذا التبست بشهوتها وغرضها، وتعشقت بعلتها ومرضها، لا ترى سوء ما هي فيه ولهذا تصطنعه وتصطفيه. قال تعالى موعداً ومبيناً:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(١).

إذا كنت أنت المكلف يوماً ما بذلك الأمر سواك، هل يستوي عندك من أطاعك فيه ومن عصاك، فإن أتى ما نهيته عنه أن يأتيه وتحاماه، أو عصى ما أمرته به وأنت تراه، هل كنت ترى فعله ذلك إلا عيباً عظيماً، وجزماً جسيماً، وعدم احترام، وطرح احتشام، ولا سيما وأنت تعلم منه أنه يعلم أنك تراه، ويتخاذل عليك ويجرؤ، وقد علم أنك فاضحة في أولاه وآخره. فاستوجب عندك العقوبة أو العفو على حسب ما تريد به من عافيتك أو بلائك، بما تسلطه عليه من أسمائك، كذلك أنت مع ربك، في عالم حسك وقلبك، فانظر إلى ما يستقبحه الشرع فاجتنبه، وإلى ما يستحسنه فبادر إليه وامثله، ولا يغرنك غدار، مدخول النصيحة غرار، فعليك باتباع العلم، والاستسلام للشيخ فيما وجه عليك من الحكم، وطهارة النفس ومحاسن الأخلاق وجميل الوفاق، واقبل قولِي، وعد عن فعلي، فإن العصمة مطلوبة إنما هي في النطق، وإيراد الحق، على وجه الصدق، فإني وإن عصيت فلا آمر بالعصيان، وإن تخاذلت فلا آمر بالخذلان، فإن ذلك يردّه الإيمان.

وهذه رسالة علمية عملية اتحدت ذاتها بصفاتها، وغاب نورها في ظلماتها، روحها في جسدها مستور، وظلامها قد احتوى على النور، فمن انسلخ من هذه السدفة، وصعد أعلى الغرفة، رأى النور يسري في فلكه وزمامه بيد ملكه، فتشرق عليه الأنوار، وتتهتك له الأستار، وتبرز له الأسرار.

جعلنا الله وإياك يا كعبة الحُسن مِّنْ علمِ فَعَمَلٍ، وسافر فوصل، وأحب فبلغ الغاية والأمل، بمنّه، والسلام المعاد عليك. ورحمة الله وبركاته.

٤ . الرسالة السريانية

توسل بها عبد الشكور إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الشكور محمد بن علي إلى كعبة الحُسن، وروضة المُنزل سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله الذي كلّم موسى تكليماً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم تسليماً.

فإن القانص خرج يبتغي صيداً، وقد أبطن له كيداً، فأرسل على الصيد نداءً، فأجابه صدهاء، فواجه صدهاء صيده، وما عرف أنه أبطن له فيه كيده، فرجع إلى مأمنه فرّ، فوقع في الحباله وتوسطها فكأنه فيها بدرّ أحاطت به هالة، هكذا فعل الحق في شرعك، مع أصل وضعك، ناداك في سرّك، فأجابه الصدا: من شرعك.

ففررت أمام الخطاب إلى سرّك، فوقع في يد ربك، فأخذك وقيدك وسدّدك، هل فعل هذا إلّا لحبه فيه، فيجتبيك، ويصطفيك، ولهذا أشار من ليس في إشارته مُفتون: «استفت قلبك ولو أفتاك المُفتون»^(١).

فلما قيدك بالمودّة، وأخذ عليك العهدة، أضرم نار الشوق إليه، في صدرك، ورفع لك عنده أعلام قدرك، ولطف سرّك، لابتغاء أمرك، ووضع وزرك لخفة ظهرك، وشرح صدرك لرفع

(١) حديث: (استفت قلبك ولو أفتاك المفتون).

رواه الترمذي، والبخاري عن وابصة رضي الله عنه. انظر السيوطي: جامع الأحاديث ٥٦٩/١.

حديث رقم (٢٩١٩).

وقال العجلوني: رواه الإمام أحمد والطبراني، وأبو يعلى وأبو نعيم عن وابصة مرفوعاً، وفي الباب: النواس ووائله وغيرهما.

انظر: كشف الخفاء ١٢٤/١ حديث رقم (٣٤٥).

ذكرك، وسخر لك البلاد والعباد، وخرق لك في سرائرك المعتاد، وقبض لك في كل وجهة المراد، وأراك غايات الحالات، ورفع الستر بينك وبين ما فيك من الآيات، وقال لك أنت التاج ومن سواك النعل، وأنت الفاعل ومن سواك الفعل، فكنت السميعة المطيعة، فلم تتخذ الشكوى موطناً، ولا تجنيت على من أحبك مُخلصاً، وما تكاسلت عن بلوغ الأمد الأقصى، لاستشرافك عليه من منازل الأقصا، أرغبت في سعادة الأبد، فزهدت في كل أحد، لبست حالة صحيحة سوية، وثقة محكمة قوية، وعادة صالحة مُرضية، وقارنت عالماً خريّياً^(١)، وهمة عالية، و يقيناً جَزْماً فثبتك تثبيتاً، اعتصمت من الفتن الغالبة، وعزمت عزائم أهل الهمم قاطبة.

فأنت الروضة الغناء، والسماء الزهراء، وثبت على الأمور الهائلة وثبة الأسد الضاري، وألفت المفاوز في طلب المفاوز والبراري، اعتبرت صحيحاً، فوجدت الخطيب فصيحاً، والواعظ نصيحاً حننت عند الغروب، حنين الغريب، ألقيت أمرك بيد الأمر فاسترحت، وجثت^(٢) بين يديه وما برحت، تصرفت عليك ضروب التحكيم، فقابلتها بالتفويض والتسليم، تنزهت لما تنزهت، وتقديست لما تقدست، وانتسبت كل حقيقة منك إلى اسمها، فوقفت على حقيقة رسمها، هذا طربك على الغيب بآلة السماع، فكيف حالك بالقرب والكشف والاستمتاع، خفيت الإشارات في العبارات، واندرجت الغيابات في الحكايات، وألّم المرض فعظمت الكربات، وطالت الوحشة فتضاعفت الحسرات، وتوالى الوجد فترادفت الزفرات، التفت الغريب إلى وطنه فحن وتذكر مشهداً كان له به، فإن نظر إلى بواره في غربته وخساره، وهلاكه في غيبته ودماره، هلك والله قلب تاه بين الصدر والورد، ونفس جالت بين البغض والود.

عجبت لناصح غش، ولمالك أهلك، ولمصلح أفسد، ولعزير آذى، ولقوي كاد، معاملة لا يقتضها منصبهم، ولا يرتضيها حسبهم، ولكن ثم رموز وأسرار، غطى عليها إقرار وإنكار، ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها^(٣).

من لم يصل إليك إلا بك فأنت أوصلته، وما وصل، ومن انفصل عنك لك فأنت فصلته، وما انفصل، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٤).

(١) الخريّ: الدليل الحاذق بالدلالة، وفي الحديث: الهجرة:

(فاستأجر رجلاً من بني الدّيل هادياً خريّياً...) فالخريّ هنا: الماهر الذي يهتدي لأخوات المفاوز وهي طرقها الخفية ومضايقتها، وقيل: أراد أن يهتدي في مثل ثقب الإبرة من الطريق.

وانما سُمّي خريّياً لشقّه المفازة. انظر اللسان مادة خَرَت.

(٢) في النسخة (ط): (وجثت).

(٣) الآية رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

(٤) الآية رقم (١٧) من سورة الأنفال،

فالأصم هو السميع، والبصير هو الأعمى، حكم الحاكم العالم، متى أدبر النهار من ها هنا، وأقبل الليل من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم، واغتمت الظلمة فاستترت العوالم، فبقيت تخبط بغير دليل، ولا رؤية سبيل، ولا قمر يبدو، ولا حادٍ يحدو، ويلي عليك وويلي منك، يا رجل لا راحة معك، ولا راحة دونك، يا أمل^(١).

هيهات حق وجب، ورهن غلق، وشمل تصدّع، وعقل حار، وقدم زلقت، وعدم ثبت، وسقوط حصل، ولم تبق إلا صباية، ويعرف الإنسان ما أصابه، وفي تلك الصباية جماع الأمر وملاكه، وقوام الشيء وهلاكه، فهي لما عمل فيها، وهي لمن يصطفئها، وعلى من يزدريها، وقد علمت أن الحق قال لأبي يزيد^(٢)، وقد توسط بحر الاضطرار، وطاش لبّه وحار، تقرب إليّ بما ليس ليّ؛ الذلة والافتقار. ثم ضاعف له المقال في الحال: اترك نفسك وتعال. فاضرع إليه بأسمائك، والجا إليه ببلائك، فإن خلعتك عليك أسماؤه، ومنزلتك عنده أنباؤه، فإذا دخلت عليه بخلعته فماذا يخلع عليك، وإذا نظرت إليه به فكيف ينظر إليك، لا يصح أن يجرد عنك خلعتك، وقد لبستها مسروقة، واتخذتها معشوقة، وتخيلت أنك بها تنجو، ولذلك كنت ترجو. ألا تراه يناديك في عذاب الجحيم:

﴿ذوق إنك أنت العزيز الكريم﴾^(٣).

فلو خلعها عليك بنفسه، لأمنت من بأسه، فعدّد عليه نعمه، ووجّه إليه كلمه، وقل له في غياهب الدياجي المظلمة بالألسن المعربة والمعجمة:

- يا ألف التأليف،
- يا باء التّبوء اللطيف.
- يا جيم الجود المطلق،
- يا دال الدلال المحقق.
- يا هاء الهوية الغريبة،
- يا واو الوصية القرية.
- يا زاي الزيادة المطلوبة،
- يا حاء الحبّة المحبوبة.
- يا طاء الطوية الثابتة،
- يا ياء اليتيمة الفائتة.
- يا كاف الكمال الذي لا ينقص،
- يا لام اللوم الذي لا يُنغص.

(١) لفظة: (يا أمل) سقطت من (ط).

(٢) (أبو يزيد البسطامي). سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد أخو الزاهدین آدم وعلي، وكان جدهم شوسان مجوسياً فأسلم. يقال إنه روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق. قال بمذهب الفناء ووحدة الوجود. تبايعه الطيفورية أو البسطامية. عنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتك. ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير (سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٦).

(٣) الآية رقم (٤٩) من سورة الدخان.

- يا ميم المجد الذي لا يداني،
- يا صاد الصدق الذي لا يقصد،
- يا فاء الفال النبوي،
- يا قاف القوة التي لا ترد،
- يا سين السناء الذي لا يسفل،
- يا ثاء الثبات الذي لا يتزلزل،
- يا ذال الذلة المعبّدة،
- يا غين الغان العاصم،
- يا نون النور الذي يتواري.
- يا عين العين الذي لا يُشهد.
- يا ضاد الضرب الوحي
- يا راء الرؤية التي لا تحد.
- يا تاء التمام الذي لا يُفصل.
- يا خاء الخيف الذي قد تسهل.
- يا ظاء الظلالات الممددة.
- يا شين الشوب القاصم

أترّك تعرّيني ثوب الإيمان بعد ما كسوتني، أتسلمني الإحسان بعدما وهبتني، ما أنت عندي من أهل البدا، ولا أعتقد ذلك فيك أبداً، كم طال عذابي بالمطال، حتى صال فؤادي بالوصال، كنت لي هادياً فتبعتك، وحادياً فما سبقتك، غنيت لي بالقرآن فسمعت، فوجدت، فزهزت، وخولطت فتأوّهت، فطلبت الخروج إليك من هذا التركيب، فجذبتني فيه، فنظرت فإذا بالحبيب، أثراً بعد عيان، أكفراً بعد إيمان.

عَجَباً لنشأة إلهية، مثلية، ملكية، بشرية، علوية، سفلية، تدرج بين عافية، وعلة، وكثرة وقلة. يا كعبة الحُسن فديت من يسمع، فديت من يتطلع، أعطاك قبل أن تسأله فكيف يردك إذا سألت، أدناك قبل أن تطلبه فكيف يردك إذا طلبته، هذه مناجاة المحجوب عن حقائق المطلوب. اشتدّ، والله، يا كعبة الحُسن ألمي، لما جهل في العلم ثبوت قدمي، واحد يقول: سألت في مسألة إلهية فلازم الخلوة لها، حتى يمهّد الحق له سُبُلها، وآخر يعضدّه على ذلك أمراً حتماً، ويحتج بقوله: ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾^(١).

أترى هؤلاء عرفوني، ولو صحبوني مدى أعمارهم هل تراهم صحبوني، فلا مراتب العلم عرفوا، ولا الحال على ما هي وصفوا، الصنف الذي يطلب الزيادة فيه معلوم، والصنف الذي لا يطلب الزيادة فيه مفهوم، هلاًّ نظر إلى السائل وعقله، ومرتبته في علمه، وأين هو في المراتب؟ وأي مذنب سلك من هذه المذانب، لو اجتمع الخلق من أولهم إلى آخرهم أن يسألوني ما أخذت لسؤالهم خلوة، فإن سؤال الخلوات على سؤال الحق موقوف، لما يطرأ في السرّ من موارد الغيب المعروف، وما الكون حتى يضطّرني، وما العالم حتى يزعجني، أتزل بي القدم، عند رؤية

(١) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

هذا العدم، إنا لله على قلوب حجبت بأغراضها، وقيدت بأمراضها، فقاست غيرها عليها، وتخيلت أن هذا حق وصل إليها.

يا كعبة الحُسن:

هذا سرُّ أبته إليك، وأتلوه عليك، معلوم أنه أعطى قبل السؤال، ثم رد السؤال، وما رده عندنا بباطل، لأن الحقائق شتى منها أين ومتى، وشيخ وفتى، ومقرب ومبعد، ومشهود ومطروود، وموافقة مكان، ومقارنة زمان، وتحصيل اسم على مسماه، قلت: يا رب. فقال: لم يصل الوقت. قلت: يا إلهي. فقال: لم يصح الشرط. الدعاء من القضاء يرد القضاء.

ذكره إتيك تعريفاً وتشريفاً، فانظر بماذا يذكرك كناية عنك تقريباً وترفعاً، فانظر بما يكنى عنك، لا يغرنك سماع الخطاب، ولا رفع الحجاب، وإنما تغتر بما يبدو لك منهما، فإمّا تُساء وإمّا تُسرّ، رفع حجاب العافية فنزل البلاء، ورفع حجاب البلاء فنزلت العافية، فكل واحد منهما حجاب الآخر محجوبه، ورب الآخر مربوبه، كن غيباً في شهوده، وخبراً في عيانه، وعناء في راحته، وعلة في شفائه، وجهلاً في علمه، وفقراً في غناه، ومهجوراً في مواصلته، ومستوحشاً في مؤانسته، وجموحاً في إذلاله، وعقولاً في لطفه.

واجهد فإن الله لما أراد الخير بك يا كعبة الحُسن عرف بيني وبينك، وأشهدك عيني وأشهدني عينك، وحركني إليك، وأنزلني عليك، وعشقتني بجمالك، وهيمني في دلالك، ولست ممن يحيل هذا وأنت الخابرة.

أما تراني أطوف بمعاهدك، وأجري على مقاصدك، فإذا أكملت الأسبوع، بادرت إلى الركوع، ولا انصرف قط عنك إلا عن أمرك، فأنت المنصرف لا أنا، وأنت المستريحة وأنا المُعنى:

إذا ترَحُّلتَ عن قومٍ وقد قدرُوا ألا تُفارقَهُم فالراحلون هم

أين ذهبت يا كعبة الحُسن من كلامي؟ وأين يقظتك من منامي؟ اتحدت أسرارنا، وامتزجت أنوارنا، فأنا أنطق بك وعنك، وأنظر إليك ومنك، فقضيت حقك، وأعدمت في جنابك خلقتك.

فأنتبه: فقد أيقظتك، واتعظ فقد وعظتك، اشتغلي بنفسك في حقي فسيحمد شغلك، وافعل فيها ما يرضيني منك فستشكر فعلك، فكأن بأركانك قد هُددت، وبحبالك قد مُدّت، وبسُبلك قد سُدّت، وجاءت الأحابشة فأخذت أحجارك، وهتكت أستارك، ورمت بك في اليم، وجارت عليك في الحكم، وهذا كله لتوصلك إليّ، وتمثل ذاتك بين يدي، ولكن انظر ما تقاسيه في طريقك إلينا من العناء، ومن عذل العاذلين وحراسة الرقباء، ومن صعوبة الطريق

وحزنه، ومن شدة كرب الهوى وحزنه، فقف متضرعة عازمة، وقوف مقصورة عالمة، ومد اليمين واليسرى، وسل في تيسير العسرى، وقل له: «أنا القصرى تعلم حقيقتي وتعرف طريقتي، فحسبي علمك بحالي، فستفوز بملاك الأمر، وتحصيل السر، فإن الذي تناجيه الآن في مقام البسط، ومنزلة الحل لا الربط، فلا تخوفنك الغمرات، ولا تحجبينك الظلمات، فإن الفجر قد طلعت منازلها، والصبح قد لاحت دلائله، والليل قد انقضت مناهله، وهذه الشمس قد بدا حجابها فأشرق، وأبدى ما كان خفي من الحق، وفتح باب كان بالأمس مغلقاً، وفرج أمر كان قبيل ذلك مطبقاً. والمنادي على الأعراف صائح، والسبيل بين يديه واضح. والصوت في الجو عال، والدف يجيبه في الحال، يا داعي الله، ويا حادي اللاهي.

أما ترى مجلس السرور قد احتفل، ووجه غلام الزمان قد بقل، والشراب المروّق قد مُزج بالتسليم، والنعيم قد ورد على النعيم، والتنديم يغازل التنديم، والحميم يناجي الحميم، والمدير قد شمر عن معصمه، ودار بكأسه على ندمائه وجلّاسه، وأسرار أهل المجلس متناغية، وسوق المهرجان قد قام على ساقه، والسماع في ارتفاع، والتواجد مطابقاً للإيقاع، والأيدي مبسوطة إلى المدير، والعيون ناظرة إلى وجهه المنير، والمسمع فصيح، والحل فسيح، والعاشق قد أعلن بالتشريح، وتمثل بقلب طروب من الكتمان جريح:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ: هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَفْكَنَ الْجَهْرُ
وَبُخْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَغْنِي مِنَ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِثْرُ

والفناء رحب، والرقيب مبعود، والحبيب مشهود، والباب مُقفّل، والستر مُشدّل، والعين تنهل، والروض يعطي عرفه ونشره، والدريريك طلاقة وجهه وبشره، والسعد يساعدك، والآمال تناشدك، والأمن يؤانسك.

فعندما يسمع مقالته، يحمد حالته، ويعلم الداعي أن الذي دعاهم إليه قد وصلوا إليه قبله، فيبقى يبحث كيف العلة، ومن لي بتدبير هذه العلة.

كما قال أبو يزيد: دعوت الخلق إلى الله خمسين سنة ثم رجعت إليه فوجدتهم قد سبقوني. هكذا ذكر، ومسابقة «بلال» (رضي الله عنه) لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في الجنة، وهو خير البشر، فحقق يا كعبة الحسن هذه المسابقة وانظر في هذه المطابقة، وعليك بمثل هذه الموافقة. وهبتي نفسك، وأهديت لي غيبك وحسك، أي محبوب فعل هذا قبلك، ما سمعت بمعشوق صدر منه مثل هذا مع محبة مثلك. أبحث لي ريقك المختوم، وسرك المكتوم. أنت فردية الوجود الكوني، أنت على خلق الوجود الإلهي، لم تتخذ بواباً، ولا أسدلت حجاباً، تأتي إلى من يحبك قبل أن يأتي إليك، وتحضر بين يديه، وهو أولى بالحضور بين يديك،

تخدمه بكلّيتك، وتجوّد عليه بنفسيتك، لولا ما أتيت إليّ ابتداءً، ما الذي كان يأتي إليك، لولا ما نزلت عليّ من قبل ما الذي كان ينزل بي عليك، فلك الطول والفضل، ولك الأمر من قبل ومن بعد. قامت لك البيّنة، وإن كنت لم أنكر، وصحت لك عليّ الحجة البالغة وأنا المقر، اعترفنا بأنك الواحدة في شأنك، والفريدة في زمانك، وغير زمانك، ذكرت قبل كونك، وعُشقت عند وجود عينك.

ما أحسن مقلتك النجلا، وأبهى منظرك الأجل، ما أعذب شفتك اللميا، ما أصلح وجهك الأقر، ما أروع خدك الأزهر، ما أنور جبينك الوضاح، ما أزهرك بين الملاح، ما أبلغك بين البلغاء، ما أخطبك بين الخطباء، ما أشهى ذلك الثغر البرود، ما أجمل في وجناتك ذلك التوريد، متعني الله ومتعك بجمالك، ولا زالت الأفواه تقبّل يمين بجلالك، والنفوس تلتزم ملتزم بابك، وتستجير بمستجار جنابك، وتجوّد عند ميزاب جودك. ويذهل حجرها عند دخول حجرك، وتقوم عند مشاهدة مقامك، وتززم عند مشرب زمزمك، وتنحطم عند مجاورة حطيمك. تالله لولا حذري أن أفقد عينك، وخوفي أن يُحال بيني وبينك، لهتكت للعالمين أستاذك، وأعلنت لهم أسرارك، وأعربت لهم معجمك، وأوضحت لهم مبهمك. وأفصحت لهم بما جبلك الله عليه من المحامد في المحاضر، وقمت خطيباً برفيع مناصبك ومشاهدك في المنابر، مما لم يرد به نقل، ولا وسعه عقل، حتى يحار الناس في تكييفك، ويذهلون في لطائف لطيفك، ومعارف كثيفك، وإنما القلوب محجوبة بالأهواء، وأنت المساعدة لهم في هذا العماء، فلو انقضت منك إذا حيل بي دونك أحجارك وتهتكت أستاذك، وعصيت العالم أجمع، لكنت في شأنك الخطيب المصقع^(١)، وغرضي في إدامة مجالستك مداولتي لمؤانستك، لا زالت أعلامك مرفوعة، وأقوالك مسموعة، وأوامرك مطاعة، وأسرارك عندي مذاعة.

والسلام عليك معاداً مردّداً ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) المِصْقَع: البليغ.

قال ابن عاصم:

خُطِّبَاءٌ حِينَ يَقُومُ قَائِلُنَا بِيضُ الرُّجُومِ مَصَاقِعُ لُسُنٍ

قيل هو من رفع الصوت. وقيل يذهب في كل صقع من الكلام

والصُّقْعُ البلاغة في الكلام.

وفي حديث (خُذِيفَةُ بْنُ أَسِيدٍ) شَرَّ النَّاسِ فِي الْفِتْنَةِ الْخُطِيبُ. المِصْقَعُ، أي البليغ الماهر في خطبته، الداعي إلى الفتن الذي يُحرّض الناس عليها.

[والعرب تقول: صَنَعَ صَاقِعًا].

تقوله للرجل تسمّعه يكذب، أي: اسكت يا كذاب. فقد ضللت عن الحق.

انظر ابن منظور و (لسان العرب مادة صقع).

٥ . الرسالة المشهدية

توسّل بها عبد البصير إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد البصير، محمد بن علي، إلى كعبة الحُسن، وروضة المِزْن. سلامٌ عليكِ ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد

حمداً لله المشهود بكل عيان، والصلاة على سيدنا محمد المبعوث إلى الإنس والجان. فإن مشاهدة المحبوب هي البغية والمطلوب، وهي أعز موجود، وأصعب مفقود. وعليك آداب في المشاهدة لها علامات منها: الثبات وعدم الالتفات، والخشوع والإقناع، والخضوع والارتياح.

واعلم:

أن حقيقة المشاهدة تنطلق على كل ذات، من موصوف وصفات، لا تتقيد بسوى الوجود العيني لها، على هذا أصّل المحققون أصلها، فالنغمة مشهودة للسمع، واللين مشهود لللمس، والكون مشهود للعين، وهنا سِرٌّ فابحث عليه، عسى يعطيك ما لديه. والريح مشهود للشم، والحنك شاهد للطعم، وهكذا جميع الأشياء مشهودة، والعلة في ذلك كونها موجودة، فلو لم يمكن لها كون ما شاهدها عين.

فإذا صح عندك ما ذكرته، وتبين لك ما سطرته، فما لك تتغنى بغير كلامه، وهو الذي سواك وعدلك، وما لك تسمع إلى غير خطابه، وهو الذي اصطفاك وفضلك، وما لك تلاحظ غير ذاته وهو قد فطرك على الصورة، وما لك تتعشق بغير جماله وهو الذي أنار سريرة العشق

منك البصيرة التي تعلم من إرادته أنك في الدنيا قنطرة تعبر، وفي الأخرى سبيكة مدخولة فتمحص وتخبر.

نفسى لك الفداء يا كعبة الحُسن. من كل ما يُتقى ويُحذر، وحياة الحب الذي بين جوانحي، والوجد الذي أخدر جوارحي، إن فؤادي بك لمتيم، وقلبي فيك مهيم، وسري فيك مقسم، ونطقي بك معثر. وخاطري منك محير.

هل لي عندك متوسم؟

هل لي في روضتك متنسم؟

ها أنا منك بين الخوف والرجاء، والاستسلام واللجأ، أخبريني فأنت شاهدي، أعلميني فأنت واحدتي، باح السر وانتهك السر، وشاع الخبر وانتشر. وقيل: هام العارف في الحجر. تعشق بنشأة جمادية، ومنزلة عبادية.

أين معرفته بربه؟!

أين دعواه في تقديس قلبه؟!

شغلّه ما يفنى عن مشاهدة قاب قوسين أو أدنى.

أين هو من الشبلي^(١) حين أمر أصحابه على قبة زمزم أن يطوفوا بذاته؟!

قلت: ما علموا أن ذلك سكرة من سكراته.

أين هذا المقام من ذلك؟

أين قدر المملوك من المالك؟

ما هو الأشقى بعد ما كان سعيد، ورُدَّ بعد قصده فبيد، جدّ فخانه الجدّ، وساعد فلم يساعده السعد. فاعتبروا يا أولي الأبصار، ويا أهل الفكر والاستبصار، في هذا الأمر الكبار، وكيف اجتمع الأوار والدمع المدرار.

أَنْتَ وَاللَّهِ غَايَتِي وَعِمَادِي	يَا هَلَالاً بَيْنَ الْجَوَانِحِ بَادِي
وَمَاتِي، وَفِي يَدَيْكَ قِيَادِي	أَنْتَ أُنْسِي وَوَحْشَتِي وَحَيَاتِي
أَنْتَ كُلِّي وَنَاطِرِي وَفُؤَادِي	أَنْتَ سِرِّي، وَأَنْتَ جَهْرِي وَبَغْضِي

(١) (الشبلي): دلف بن جحدر، أبو بكر: صوفي من الكبار، كان والياً في ديناوند ثم هجر العالم وهو في الأربعين من عمره فصار من شيوخ الصوفية. أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبلة. ولد بسامراء وتوفي ببغداد ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م وفي اسمه اختلاف كبير.

أَنْتَ صَيَّرْتَنِي حَزِيناً ذَلِيلًا سَاهِراً لَا أَذُوقُ طَعْمَ الرُّقَادِي
هَائِماً فِي سَبَاسِبٍ^(١) مُهْلِكَاتٍ نَازِلاً مِنْ رُبَا^(٢) إِلَى بَطْنِ وَادِي

نفسي لك الفداء يا كعبة الحُسن:

رَأَيْتُ الْعَارِفِينَ قَدْ رَمَوْنِي^(٣) بِمَحَبَّتِكَ، وَهِيَ شَرْفِي وَمَجْدِي، وَعَيَّرَنِي الْمُحَقِّقُونَ بِالتَضَرُّعِ إِلَيْكَ، وَالطَّوَافِ بِرَبْعِكَ، وَفِيهِمَا حَيَاتِي وَسَعْدِي. عَمُوا وَاللَّهُ عَنْ إِدْرَاكَ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيكَ مِنَ الْحَقَائِقِ. وَجَهِلُوا امْتِدَادَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الرَّقَائِقِ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَصْلَحَتِي فِي رِضَاكَ، وَسَعَادَتِي فِي قَضَائِكَ، وَزَوَى عَنِّي رُوحَ حَيَاتِي بِمُشَاهَدَتِكَ، وَصَفَّانِي مِنْ كَدْرِ الْهَوَى بِمُوَافَقَتِكَ وَمُسَاعَدَتِكَ، خَسِرَ مَنْ لَمْ يُمَثِّلْ أَمْرَكَ وَلَا خَاطَبَ سِرِّكَ.

أَيُّهَا الْعَاذِلُ: أَمَا تَمَلُّ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ السِّيفُ الْعَذْلَ، وَلَوْلَا لَزُومِي مَغْنَاهَا، وَتَعَشَّقِي بِحُسْنِهَا^(٤) وَمَعْنَاهَا، وَلِثَمِّي مَقْبَلَهَا الْبُرُودَ، وَقُطْفِي وَرْدَ تِلْكَ الْخُدُودِ، وَتَعَلَّقِي بِدَلَالِهَا^(٥) وَأُردَانِهَا وَتَعَشَّقِي بِحُسْنِهَا الْبَدِيعِ، وَإِحْسَانِهَا، وَتَصَفَّحِي آثَارَ الرُّبُوبِيَّةِ فِي نَشْأَتِهَا وَمَلَا حِظِّي سِرَّ الْقِيُومِيَّةِ فِي بَدَأَتِهَا، وَنَظَرِي مَعْنَى الْأُلُوهِيَّةِ فِي صُورَتِهَا، وَشُهُودِي أَحْكَامَ الْعَالَمِيَّةِ فِي سِيرَتِهَا، لَمَّا كُنْتُ مِنَ الْعِزَّةِ بِحَيْثُ لَا تَبْلُغُنِي، وَمِنَ الرَّفْعَةِ وَالتَّنْزِيهِ بِحَيْثُ لَا تَعْرِفُنِي. وَعِزَّةُ حَيَاتِهَا عَلَيَّ وَإِنَّهُ لَقِسْمٌ عَظِيمٌ، عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٌ.

لَوْ أَطَّلَعْتُ أَيُّهَا الْعَاذِلُ عَلَى الْمَقَامِ الَّذِي حَصَلَ لِي مِنْ وَجْدِي^(٦) بِهَا، وَعَشَّقِي فِيهَا، لَاتَّخَذْتَنِي رَبّاً مَعْبُوداً، وَمَوْلَى مَقْصُوداً، فَاحْمَدَ اللَّهَ الَّذِي أَبْقَى عَلَيْكَ^(٧) إِيْمَانَكَ بِسِتْرِي بَعْدَ

(١) (السَّبَاسِبُ) شَجَرٌ يَتَخَذُ مِنْهُ السَّهَامُ وَالسَّبَسَبُ: المفاضة.

وفي حديث (قُس): فَبَيْنَا أَنَا أَجُولُ سَبَسَبَهَا: أَي: القفر والمفاضة.

وقيل: الأرض القفر البعيدة.

انظر لسان العرب مادة (سبب).

(٢) أَي: قمته وأعلاه. وفي (ط): (رُبَى).

(٣) فِي (ط): (ذَمُونِي).

(٤) فِي (ط): (لِحُسْنِهَا).

(٥) فِي (ط)، (خ): (ذَلِكَ).

(٦) فِي (خ): (بِرِلَاذِلِهَا).

(٧) فِي (ط): (وَعْدِي).

(٨) فِي (ط): (عَلَيَّ).

اطلاعلك عليّ، ونظرك بالعين السليمة إليّ فهو الذي أهلك النصارى في المسيح، ورمى بهم في المهامه الفحيح.

ما أفرحني أيها العذول بجهلك بمقداري، فإن فيه سعادتك، فاحمد الله الذي عشق إليك عادتك. وحياة الحب لو اطلعت من كعبة الحسن على ما اطلعت، وسمعت منها السحر الذي سمعت، لكنت خبيراً من الأخبار^(١)، يتحدث بك في جميع الأمصار، تسامر بك السمراء ملوكها، وتنظم بك الغواني سلوكها، وتحدي بك الركائب، ويستعان بك على قطع السباسب، وكنت لا تسعك محجة، ولا تقوم لأحد عليك حجة.

فأنت أيها العاذل المحروم السعيد، وأنت الميت الشهيد، جمعت بين الحياة والموت، والفوز والفوت، إلى متى أيها الرقيب أنت يقظان؟ إلى متى أيها العاذل أنت في أمري حيران. من أجل ما بلى الجفون وسنان، مائس الأعطاف سكران. اشتغل بإحصاء أنفاسك عن أنفاسي، وبتعديل أمراسك عن أمراسي، (فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)^(٢)، فلا تكن بالناسي، هبك شقيت أنا على زعمك ما تحصل لك من شفائي، هبك تعנית ماذا في يديك من غنائني.

ألم تعلم أن كل إنسان مسئول عن نفسه دون أبناء جنسه، قد والله كشف البال، وكذبت الآمال، وقل الصديق وتعذر الصديق، وذهبت السيئات بالحسنات، والمخالفات بالموافقات، والطبع بالشرع، والقواصم بالعواصم، والدواهي بالنواهي، فلا فاهية تزيل داهية، ولا عاصمة ترفع قاصمة، ولا شرع يذهب طبعاً، ولا حسنة تمحو سيئة.

تضاعفت البلوى بحمل هذا العبء، واستترت الشكوى بدوام هذا الخبء، حمل فادح على القريب والنازح، ولا معين ولا معين، ولا صافي ولا مصافي، ولا من يريد تخليصي وإنصافي.

يا كعبة الحُسن:

أورث وسواسك الوسواس، وعمّ بلاؤك جميع الناس. بيوت تنهب، وقلوب تُلهب، وناز

(١) في (خ): (خبراً من الأخبار) بالخاء المعجمة.

(٢) حديث (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).

رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً قال النجم: (وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته الشئ لم يعدل عنها إلى البدعة).

وفي الباب نفسه عن الحسن بن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما قال في التمييز، وأخرجه البزار عن أنس مرفوعاً بإسناد حسن.

انظر العجلوني: كشف الخفاء ٤٦/٢ حديث رقم (١٦٧٣).

تُضرم، وأنفال تُقسم، وداهية دهيا، ولجة عميا. كالساعة بل أدهى وأمر ﴿وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر﴾^(١) وهذا نحس دائم مستمر.

يا كعبة الحُسن:

فدتك نفسي من كل مكروه، وأنى لنفسي أن تفاديك، اسمع خطابي وردّ على جوابي، وما قنعت مني إذ رميتني عني فأنا أشكو مني إليّ بيني، وأتردد فيما بيني وبينني. يا أنا لم بخلت عليّ ألم أكن لي حديقة لما جُلّت، وملعب أنس لما زُلّت. لا جرم أن ما أدعو إليّ ليس لي دعوة في أمر، ولكنني منّي تحت ستر، وجدي إنما هو عليّ، وعشقي إنما هو فيّ، وولهي إنما هو بي، ففي أهلك، ولي أملك، فأنا المحب والمحجوب، وأنا الطالب والمطلوب، وأنا العاشق والمعشوق، وأنا طالب الحق الذي توجهت على الحقوق، فانصفني يا أنا مني، فقد ترجمت لي عني. تقدّست هذه المطالبة عن البينونة، وجلّت عن الكينونة، لما فيها من الاتحاد في أصل الإيجاد ألا وإن الموجد المحقق إذا عرج في معارج الحقائق وحصل ضرباً من مكاشفات اتحاد الرقائق والدقائق، وصحاحاً بعدما سكر، ونشر بعدما قبر. لا بد من ملازمة الأدب، وتباين الرتب، ومعرفة النسب، والوقوف عند العلة والسبب، فإن الجمجمة^(٢) في الجمجمة، والهمهمة^(٣) في الحممة^(٤).

وفي معرفة اختلاف اللغات، دليل على عموم المخاطبات، فما من رسول إلاّ وأرسل بلسان قومه. إلاّ من أوتي جوامع الكلم من يومه، وأخذها وارثه في نومه. ومعرفتها على الإبهام دائٍ عضال، وهي مسألة فيها عظيم إشكال، كلما قيل لك في لغة هذا ليس لك، فانظر اللغة الأخرى تقول هو لك، فإن لم تعرف موارد اللغات، بقيت للحيرة في سكرات، وخُضت في بحار الغمرات، وأحرقتك السباحات، وأدّاك إلى ما أرداك وعرج بك عن سبيل هداك، واحذر من الله الاستدراج ولا تقل: وأي منزلة فوق التاج. هو حدّ الاستواء، فوق العرش والسماء، ما

(١) الآية رقم (٧٧) من سورة النحل ونصّها: ﴿ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾.

(٢) الجمجمة: ألا يُبين كلامه في العيِّ وجمجم في صدره شيئاً أخفاه ولم يیده، أما الجمجمة: فهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (جمم).

(٣) الهمهمة: الكلام الخفي، وقيل تردد الزئير في الصدر من الهمّ والحزن. ونحو أصوات البقر والفيلة وأشباه ذلك. (انظر لسان العرب مادة همم).

(٤) الخممة: والتخمّم عُرّ الفرس حين يُقصر في الصهيل ويقال: تخمّم تخمّمًا، وحمّم حممةً.

قال الأزهري: كأنه حكاية صوته إذا طلب العلف أو رأى صاحبه الذي كان ألقه فاستأنس إليه.

انظر لسان العرب لابن منظور مادة (حمم).

أسرع ما يصير للأفراس نعلاً، وللرحى ثقلاً، فعليك بالذوبان في رضى الرحمان، فعن قريب تنحل من عالم التلقيق، وتلحق بالمنظر الأنيق، الذي هو تحفة الواصلين، وغاية الطالبين، وأنس المستوحشين وأمن الخائفين، وراحة المجتهدين، ورحمة المغتربين، ومنية القاصدين، وسر العارفين، وعلم العالمين، وعلم المتسابقين وحكمة الحكماء الفاصلين.

ولكن يعزُّ والله اختراقاً واحتراقاً، وتجرع السموم القاتلة، ومعانقة الرزايا الشاملة، والتجافي عن الفُرش المرفوعة، والزهد في المنازل الرفيعة، والمسابقة في الأعمال، والمسارة إلى مرضاة الحق، الذي تنقطع دونها رقاب الأجناد من الرجال، وبذل الذخائر النفيسة، وزوال رياسة هذه النفس الرئيسة، حينئذ ينال ما ذكرناه، وتنعم بما سطرناه.

نعم يا كعبة الحُسن:

نفسي الفداء لسري فهم ما أقول، ويعلم ما أورده من حقائق الوصول. واحرَّ قلباه من وجدٍ مُتلف، ومعنى جليلٍ مشرف. وأسفاه على ما لطف من الحال، واشوقاه إلى ما رقى من الخيال. هل من عارفٍ طريفٍ يفهم إشاراتي؟! هل من واصلٍ عفيفٍ أطلعه على ما وراء ستاراتي؟! هل من ذكيٍّ ذي همّةٍ شريفٍ أجعل بين يديه عباراتي؟!

راح القطّان، وخلت الأوطان، فلا نادب ولا مندوب، ولا طالب ولا مطلوب، هلكَت الإضافات، وبقيت الخرافات. فيها ماج الناس، وبها عظم الوسواس. فهذا زمان التعوذ واتخاذ التمايم، وأوان الرقي واستعمال العزائم. فإن الرديء قد طمَّ، وبلاءه قد عمَّ، اللهم لا نملك ضراً ولا نفعاً، ولا قوّة ولا جمعاً، أنكر علينا الأخبار عنك والإشارة إليك، وحسبنا على ما وهبتنا من الحكم، وأسبغت علينا من النعم، وأرجوك دافعاً ومعيناً، وظهيراً ونصيراً ولا أرجو سواك. فأنت مالك الأملاك.

فاحفظ يا كعبة الحُسن هذه الوسيلة. وكن الحامي لها والوصيلة فإنك تحمد متقلبها، وتشكر سعيها ومذهبها. ولو بعد حين والحمد لله رب العالمين.

وقد أبنتُ لك في هذه الرسالة من الرموز والأسرار ما إذا تصفحتها تبهرت جداولك، واتسعت مضايقتك، وطاب عيشك، واعتز عرشك، أدام الله إحسانك ولا أخلى مكانك بمنّه، لا ربّ غيره.

والسلام المعاد عليك رحمة الله وبركاته.

٦ . الرسالة الفردوسية

توسل بها عبد السميع إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد السميع محمد بن علي إلى كعبة الحُسن، وروضة المزن سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله المناجي بكل لسان، والصلاة على سيدنا محمد في كل أوان، فإن الرّاحة والبلوى، والشكر والشكوى أحوال تعطى بحقائقها الكمال، وتجعل من قامت به برزخاً بين الأنوار والطلال وذلك هو الاعتدال الوهمي، لا أنه الوجود العيني، فإن الضدّين غير حاصلين في وحيد العين، ونحن نتكلم في الواحد بما يعطيه الغائب والشاهد، ولكن تستخرج مواليد الحقائق أنفسها من ظلم المشئمة، وتميز بين صفات الميمنة منها، وبين صفات المشئمة، وإن اتصفت بالصفتين في وقتين أو محلين، وليس غير هذين حتى تقيم الحمدتين، وتنطق بالشئائين على رأس النجدتين فيقول في سرّائها: الحمد لله المنعم المتفضل، وتقول في ضرائها: الحمد لله على كل حال، لكن في زمانين مختلفين، أو في محلين متجاورين، أو متباينين، يكونان ملكاً تحت حيطتها، ودائرة على نقطتها.

فاعلم يا كعبة الحُسن:

أن الحق أوصلني فيك إلى مقام إليّ، وأوقفني منك على موقف إليّ، لم أطلع فيه سوى الرحمة المطلقة والكرامة، ولم أعان فيه غير السرور الذي لا تلحقه ندامة، وامتدت إليّ اليدان، والتحمت الأبعاد بالأدان، وجنى الجنّتين دان، وانعطف الآخر على أوله وانتظم الأبد بأزله، ومتى وجد هذه الحالة منّ وجدها ذهب عينه في المحاق، وانعدم فصله عند هذا الاتساق. ولما رأيت المعرفة بنفسي قائمة، وكلماتي بالذكر الحكيم ناطقة، والقلب إلى الوحداية منتهض،

والفؤاد في وسط سبيل اليقين معترض، والسر بما يجده من العشق ثابت، وغصن حقيقتي^(١) في روضة شرعة نابت والروح تواقه إلى الاتصال، والجوارح مستمرة على الأعمال، والوجود متطلع إليها بالمغفرة، وَوَجَدَهَا تَسْعَى لَهُ بِالْإِحْسَانِ والتذكرة، والحرارة في الكبد تمدها الصبابة فيعلو حنينها، والحياة لم تبق منها إلا صباية، حتى ما يكاد يسمع أنينها، والمضمار قد ضممت له العتاق، وقد دخلت معهم في السباق، لما رُفِعَتْ لَهَا الأعلام، وأيقنت بذهاب الأيام، فِحِزَتْ^(٢) في الانسلاخ منها، والنزوح عنها، وهذا سباق لا يضبر عليه إلا رُحْبُ الباب، واسع النفس خفيف الحاذ، أشم القذال كبير الهمة، سريع الانتهاض، زاهدٌ في الخلوة الخضرة راغبٌ في الدار الآخرة. فبعد ما سرد هذا الخبر، ونظمت هذه الدرر، قلت قد أبلغت الرسل، ومهدت السبل، وأبلغ في الأعذار رسول الإنذار، ونصبت الدلالات والعلامات، وأظهرت الآيات والكرامات، بما ظهر عليّ من النعم الجسيمة، وأسبغ عليّ من ألطافه العميمة الوارفة الظلال، النيّرة الليال. هذا قد جمع لك بين الحسينيين وأعطاك لذة النظرتين، ومنحك سر الشهوتين، وأبرز لعينك ما سطرته الأقلام في الألواح، وأفادته الأجسام للأرواح، فاشكر فبالشكر تزيد النعم، وبه ترزأ النقم، هذا سرُّ الحدث والقدم، قد شهد بعرفانه القدم. وتحققت حقيقة الوجود من العدم، وتبين لك أن الوجود هو الخير الخالص الغضُّ، وأن العدم هو الشر المحض. وكل شرٍّ موجود فمشوب بالخير معقود، أيُّ بلاء أعظم من فناء العين، أي شرٌّ أشد من عدم الكون، ما دام لك في^(٣) الوجود رسم، وظهر لك فيه اسم، فقد أخذت بحظ وافر من الخير، وقد أدرى عنك ما في مقابلته من الضير فإنك لا تعرف قدر الشيء إلا بضدّه، كما لا تعرف مضاضة وعيده إلا بلذاذة وعده.

فالعالم كله في نعيم، من كان منه في الجنة ومن كان منه في الجحيم، نعيماً علمياً، وسروراً عقلياً لا حِسِّيّاً، ودع عنك بعد معرفة هذه الحقائق ما تحمله النفوس من نضج الجلود بين أطباق السعير، واستصراخهم لذلك بالويل والثبور، فقد حمله السعداء في العدوّة الدنيا، وقاسوا منه أعظم بلوى. هذا حظ النفوس والجسوم، فأين حظ المعارف والجسوم.

نحن ما تكلمنا في الإحساس، وإنما تكلمنا في رفع الالتباس، بصحيح القياس، هذا خطيب النعم قد وقف على أَعْواده، في محضر إشهداه معتمداً على عصاه، محرّشاً على من عصاه. انظر كيف يدل على مواقعها في أوان الاضطرار، وكيف يريك لذاتها إذا جاءت على حكم

(١) في (ط): (حقيقي).

(٢) في (ط): (فجّدت).

(٣) في (ط): (من).

الاختيار ليست الموعظة من الشعر فترمز، ولا من الخطابة فتلغز، وإنما هي من النعم المبسوطة على الدوام، على ممر الليالي والأيام.

كما قال المهيمن العلام:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لتنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾^(١).

كيف تصفو الأسرار والإنسان على قدم الغرور؟!

كيف تطرح العلالات^(٢) وقد جهل المصير؟!

كيف يواصل من يهواه من لم يعر عن هواه؟!

عجباً بمن يستلذ عافية باطنها بلاء!

أو يتنعم براحة غايتها عناء!

عذب العذاب ولا عتاب العتبي، ووصل الوقت ولا القرب في العقبى، هذا حظ أصحاب العاجلة، اللاهية قلوبهم عن الآجلة، اختطفتهم عن طريق الهدى أغراضهم، وتوالت عليهم شكوهم وأمراضهم، فبؤس عليهم لا يرتفع، وروح متوجه نحو الموعظة لا ينتفع، ومعشوق إن راح لم يرح خياله، ومحبوب إن ذهب لم يذهب مثاله. فالصبابة [به]^(٣) أبداً مقلقة، وزفرة وجده في ضلوعه محرقة، ولا بد من [الدهر]^(٤) أن ييدي حكمه، ويظهر علمه، فشئت وجمعٌ وجبرٌ وصدغٌ، وأملٌ مشتبهُ انتظر وطمع تحرك فاستنظر، فإمّا بالرجاء وإمّا باليأس، وكلاهما شديد على النفس. إذا جاد الواهب الوصول على الكبد المحرقة بنار الهوى بنسيم المنح، انزعجت النفوس وظهر عليها الترح، وإذا تسعر لهيب الطمع بريح الحدس، همدت من المحقق بيقين الهمس، وإذا جاء الخطاب باليسرى، فلا تغتر فقي طيّه العُسرى، فإن هذه الدار الدنيا مشوبة إلاّ ريّ بالشرى مبطونة الحرب في السلم، هي نشأة الأمشاج، ودار الامتزاج، فكيف يتخلص فيها خطاب، أو كيف يظهر فيها جواب، لو ظهر لكل عين لما كُذبت الرسل، ولو لاح لكل بصيرة لما اختلفت السُّبل، فلا يصفو فيها حبٌّ عن اعتلال، ولا صحة عن إخلال، ولا

(١) الآية رقم (٦٩) من سورة يس.

(٢) في (ط): (الملاات).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

وجد عن فقد، ولا صُخبة عن ملل، ولا مساعدة عن معاندة، ولا جهد عن فتور^(١)، ولا حق عن زور، ولا رجاء عن قنوط، ولا طلوع عن هبوط، آه لعيون قد جمدت، وخواطر قد سكنت، ومحاسن قد سمجت، وسماحة قد عبست، وعزة قد ذلت، وحديث أفسده التكرار، «ويلٌ للشجّي من الخلي»^(٢)، ويا ذلة الفقير جانب عزة الغني، ما للوجد يجرعني كأسه، ما له تحرقني أنفاسه، ولا معين أعول عليه، ولا ركن آوي إليه، لعله يُهتّىء أسباباً، ويفتح أبواباً، أو يذل صعباً، أو يفرّج كرباً، أو ييدي أمراً، أو يُظهر عذراً. طالت صحبتي لهذه البلايا، وعظمت محنتي بهذه الرزايا، فتاي يؤمن بي ولا يسلم، فإن وافقته في غرضه أعرض عني ومضى ولم يُسلم وهو معي يداً بيد، أنكر عليّ مسألة العدم، وقام إلى صك وجهي بالقدم، وما ارعوى عن ذلك ولا ندم، وقال هي مسألة معقولة فلا أسلم، وهكذا أكثر من يدعي في كمال العلم، وصحة الحكم، لا يقبل إلا ما يعطيه فهمه، وما يبلغه علمه، فهو مع نفسه لم ييرح، وعن موطنه لم ينزح، وهل التسليم والاستسلام إلا فيما تمجه النفوس، ويكاد يرده المحسوس، ولو كان به عليماً:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٣).

تالله ما غبت بوجهي إلا لما ترادف عليّ من الغير، وأحاطت بي من الفكر، أولياء في جلود الأفاعي، وأعداء في صور الأحباء، ما ينفعني صحيح عقدهم فيّ إذا قابلوني بالمكروه، ما عسى يبلغ مني ما أعرفه من احترامهم، إذا قالوا في مسألة أوردوها عليهم فتقصر أفهام بعضهم، عن إدراكها، لا يعتقد هذا معتوه، أين هنا الاحترام وقد ألحقوني بالحمقى؟ أين هنا الصدق وقد

(١) في (ط): (نفور).

(٢) «ويلٌ للشجّي من الخلي»: وقصة هذا المثل:

أول من قال ذلك (أكثم بن صيفي التميمي) في بداية ظهور الدعوة الإسلامية وطلبه من أهل النبي (صلى الله عليه وسلم) القرشين أن يقفوا مع الدعوة فقال: [إن أحق الناس بمعونة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه... وإن الذي يدعو إليه محمد (صلى الله عليه وسلم) لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً... فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يُلزَمه ذليل إلا عز، وهذا أمرٌ له ما بعده من سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي، وبالعزيزية حزم، والاختلاف عجز. فقال (مالك بن نويرة): قد خُرف شيخكم. فقال (أكثم):

(ويلٌ للشجّي من الخلي، والهنفي على أمير لم أشهده ولم يسعني).

انظر الميداني: مجمع الأمثال ٤٣٣/٢، ٤٣٨٣.

وللمثل قصة أخرى قاله (لقمان) انظر ٢٢٣/٢.

(٣) الآية رقم (٦٥) من سورة النساء.

وعدوني بالفراق، وأسكنوني البلقاء، إن لم آتهم بطائر فأقول لهم هذه العنقاء فيصدقوني، وإلا فلا يقربوني. أنبيي أنا فيجب عليّ تعليمهم، أرسول أنا فيتفرض عليّ تفهيمهم، من حسن الظن بي صدق فانتفع، وإن كنت كاذباً. ومن أساء الظن بي فليشمر ثوبه، وليولّ عني هارباً، حذراً أن تحرقه ناري، ويذهبه أوري.

يا كعبة الحُسن:

إذا نور الله بصيرتك، وأراك السلامة في رأيك فأخبرني حتى أثبت نفسي في ديوان الشاكرين، وأقعد في مجلس الذاكرين، وأثني عليك في محافل المتناظرين فسروري بما يفتح عليك، وفرحي إنما هو بما ينزل من ربك إليك فتعرض للنفحات، وتُهيأ للسبحات. وأنا أتضرع وأسأل، وأرغب وأؤمل أن يوطيء لك أكنافه، ويمنحك ألطافه، ويطلعك على ودائع القلوب، ويسري بك في سماوات الغيوب، حتى تبلغ المنى في حضرة «أو أدنى» فتكون صاحب تدلي وتلقي، فإذا نزلت عن الاستواء، وأخبرتني بخلوص الولاء، وصدق الوفاء، وحسن المعاملة على الصفاء. حينئذ أسرُّ بك فإنك تعرف في ذلك الوقت على الكشف كيف صافيتك، وبأي صفة وافيتك، وتعثر على حركتي معك التي أنكرتها، وسكنتي عنك التي كفرتها، وتبدل الكفر بالشكر، ويقتل نبي العرفان دجال النكر، وتكون عيسوية الظهور مكتنفة بالنور، صائمة عن المحظور، موفاة من كل محذور. سهّل الله لنا ما تصعب من جنابك، وسرنا بجميل إياك، وأظفرنا بطاغية نفسك، وأسكنك حضرة قدسك، ونزهك في حظيرة فردوسك، وجللك بغلائل أنسك.

بعزته لا رب غيره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٧ . الرسالة العذرية

توسّل بها عبد الودود إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الودود، محمد بن علي، إلى كعبة الحُسن، وروضة المزن، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد

الحمد لله الذي وصف نفسه بحبّ عبادِهِ، والصلاة على رسوله محمد الذي اتخذهُ حبيباً، واصطفاه وخَصَّهُ بليلة إشفاده. فإنني أصف حالة عذرية، وأنوح نياحة قمرية فأقول:

آهِ مِنْ الْوَجْدِ ثُمَّ آه	يَا وَيْحَ نَفْسِي مَاذَا دَهَاها
تَيِّمَهَا حُشْنُ مَنْ تَعَالَتْ	وَزَادَ عَنْ جَفْنِهَا كَرَاهَا
أَتَى إِلَى قَلْبِهَا هَوَاهَا	وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَا أَتَاهَا
وَحَيِّمَ الشُّوقِ فِي فَنَاهَا	وَعَرَّسَ الْوَجْدُ فِي دُرَاهَا
تُراها يَا عَاذِلِي تَسْلُو	عَنْ حُبِّهِ أَوْ تَرَى مُنَاهَا
كَيْفَ لَهَا بِالسُّلُو عَنْهُ	وَالسَّقْمِ قَدْ دَبَّ فِي حَشَاهَا ^(١)

يا كعبة الحُسن:

لا تسل عن شدّة ما لقيت بعد فراقك من الوبال، لما غاب الشخص وبقي الخيال، وتدكدكت النفس ليالي الأنس والاتصال، وقد اشتمل عليها الحزن لذلك أيّ اشتمال، وخالطها الجنون والخبال، فهام سائحاً في بطون الأودية، وفتن^(٢) الجبال شوقاً لذلك الجمال،

(١) هذه الأبيات جاءت منثورة في النسخة (ط).

(٢) في النسخة (ط): (قُلِّل) ولعلها أصوب.

وهيماناً في ذلك الدلال. كم نور أظلمته سبحاتك! كم روض أذبلته وجناتك! كم دم سفكته لحظاتك، واحرّ قلباه من قلب لم تؤلمه دواعي الأشواق، ولا أنضجته حرارة الفراق إلى متى آسى وتسلو، إلى كم أشكو وتلهو؟

خَلِيلِي مَهْمَا جِئْتَمَا عَلَيَّ ^(١) نَجِدْ	فَمَنَا بِتَبْلِيغِ ^(٢) السَّلَامِ عَلَيَّ هُنْدِ
وَقُولَا لَهَا رِفْقاً بِقَلْبِ مُتَيِّمٍ	تَرْكَنَاهُ بِالْجُرْعَا يَمُوتُ مِنَ الْوَجْدِ
فَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْوَاهُ مِثْلِي وَعِنْدَهُ	مِنَ الْبَثِّ وَالشُّوقِ الْمَبْرَحِ مَا عِنْدِي
لَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَمُوتَ مِنَ النَّوَى	لَأَنَّ الَّذِي أَهْوَاهُ مِثْلِي فِي الرَّؤْدِ ^(٣)
وَلَكِنِّي آسِي وَيَسْلُو وَأَشْتَكِي	وَيَلْهُو فَمَنْ لِلْحُبِّ إِنْ مِتَّ مِنْ بَعْدِي

تدكدكت النفس أَيْاماً سلفت فهامت فتلفت.

أما علمت يا كعبة الحُسن بأن المحبة المفرطة إذا مدّها البُثُّ، والبُثُّ إذا صاحبه التَّوَقُّانُ، والتَّوَقُّانُ إذا خالطه الهيمان، والهيمان إذا مازجه الارتياح، والارتياح إذا طمع فخائته الأطماع يذوب لها الفؤاد، ويذهب لها السواد ويتصدع لها الجماد، وتنفطر لها السبع الشداد.

والحبة على قدر المحبوب، والطلب على قدر المطلوب وأيُّ محبوب يا كعبة الحُسن يُعادلُك، وأيُّ مطلوب يا قرة العين يُماثلُك. بلواك أعظم من أن تُحمل، وداؤُك أعضل من أن يؤسَى، ذهبت منك بداهية دهياء، وغارت عليّ منك كتيبة خرساء، فسببت الحريم، وقتلت النديم، وفرقت الحميم من الحميم، وأذهبت النعيم، وأضرمت نار الجحيم، ولساني عليك في هذا كله بالشكر ناطق، وبالثناء موافق، وكيف لا أشكر وهذا كان مرادك، وكيف لا أثني وهؤلاء هم أجنادك، ومن أنا وما خطري حتى تصرف همتك إليّ، وتنزل بأجناد بلائك عليّ، فتذيب العظم والشحم، وتذهب الدم واللحم، وتفني المهجة التي قد هُيِّمت في حُسنك، وتذبل الروضة التي قد أُنعت بعيون مُزْنِك، والله ما تعرضت لهذه البلية، ولا تطاولت حلول هذه الرزية، فاجزع من مضاضة فراقك، واجرع كؤوس مرارة أشواقك، ولكنه كان عن أمرك فبادرت امثالته، وأقبل به رسولك عن مسرة منك فسُررت لسرورك بإقباله، وقال نفذ الأمر المطاع، من الأمر الذي لا يُستطاع، بالرحلة عن هذه البقاع، إلى الشعاب الموحشة واليفاع، فتجردنا في حندس الليل الدّاج، وأسرعنا في الإدلاج، فما قاربت الغزالة الزوال، إلّا والحال قد داخله الاعتلال، والجسم قد خالطه الانسلال، والعقل قد مازجه الخبال، ردّ الله عليّ شباب

(١) في (ط): (علمي).

(٢) في (ط): (فبلغ سلامي).

(٣) في (ط): (في الرُّؤْد).

تلك الأيام والليال، وأقر عيني بالتنزه في محاسن ذلك الجمال، يا طول حزني على الفوت، ويا شرّ حياتي إن لم أرك قبل الموت. طال والله ما كنت فيك محسوداً، ومن أجلك مقصوداً، واليوم فقد ألحفت بالحاسدين، وحرمت السير مع القاصدين. أخبرني رسول الوداد الذي بيني وبينك أنك عني سالية، وديارك من محبتي خالية، على عروشها خاوية، لا أحضر لك في جنان، ولا أخطر لك في لسان، ولا أتمثل لك في خيال، ولا أجرى لك على بال، وقد علمت يا قرّة العين أنني قد قطعت المألوفات، وتركت المستحسنات، وقصدتك من دون العالم أجمع، وخيّم بفنائك لأخصب وأربع، ورغبت في سلم الأعداء رغبة في جوارك، وأعطيت الرشوة الرقباء ليسمحوا لي في دنوّ مزارك. وأنت تأنف عن ذكرى، وتتوقف عن ملاحظة سرّي، كان نعيمي بك طيباً فكدرته، وكان سرّك مطلقاً فأسرته، فقلت هذا كله لإيثاري إياك على كل مصحوب، وتقديمي إياك على كل محبوب، وحلمي عظيم بلائك، وجهدي في بلوغ رضاك، لم أزل بين يديك منتصباً، أضرع إليك منتحباً.

أشكو منك إليك، وأتماوت لك عليك، وأصعق عند رؤيتك وأفزق عند زورتك. يا قلباً تقلّب على جمر الغضا، أترى يعود إليك محبوبك بالرضا، يا نفساً غرقت في بحر الأسى، تعللي بذكره لعلّ وعسى، فربما يمسي عندك معرساً.

يانظرة زوّذتنيها ليتها ما كانت، يا حسرة أورثتنيها ليتها لو زالت. وردّ القال الذي هو لسان الزمان، أو أوان الوصال قد آن، وقد جاءت الرواحل بالبشائر، وانتظمت القبائل والعشائر. فذئبك يا كعبة الحُسن:

ألا تُصغني لشرح حالي معك، لا قلاك ربّي ولا ودّعك، لم أزل منك في كل لحظة وأوان، في وصفٍ إلهيّ ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(١) ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾^(٢)، كلما ظهرت لي منك آية، أعقبته عماية، ومتى تحققت منك صفاء تلاه كدر.

تشرب ربا بشربي والهوى سبب^(٣) لأن أذوق فيه الصاب والعسلا
كيف يبقى جسم قد أنضجت كبده حرارة الاشتياق، وغشيت عيناه من البكا حذر الفراق، في أيام التلاق والعناق، إن باح خاف من الوشاة، وإن كتم هلك بتوالي الحسرات والزفرات، فلا أدري والله في أي وإد أهيم، ولا على أي حالة أحوم، كلما باسطقك انقبضت، وكلما

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة الرحمن.

(٢) الآية رقم (٣١) من سورة الرحمن.

(٣) في النسخة (ط) جاء هذا الشطر كما يلي:

(تشوب ربا الشرى والهوى سبب).

أقبلت عليك أعرضت، أطلب أبلغ رضاك، ولا أنظر لجهلي بقضائك، أموري كلها بالبلايا معروفة، وعلى الرزايا موقوفة، أما تحنّ أما ترني، أما تنظر من حزني وبشي.

فأنا مائل بين يديك، ناظر بعين الذلّة والمسكنة إليك، حيران لا دين لي، ولهان لا عقل لي، مبهوت بلا نفس، عين تجود، وحزن جديد لا يلى ولا يبيد، وأخ غير مساعد^(١) ولا موافق، وليل لا صبح له، ولا قائل يقول:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ولا نسيم وصل يهب، وهذا كله ليس منك فأنسبك إلى الظلم والجور، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، وإنما هو مني لمخالفتي أمرك، ونظري إلى غيرك، فجهلت عيبي، فما استغفرت من ذنبي، وأنت تستدرجني من حيث لا أعلم، وتمزج لي العسل بالسّم، فأحسب أنني المقرب المشهود، وأنا الطريد المبعود، وأتخيّل أنني الموصول، وأنا بسهم الهجر مقتول، هجرت اسمي بكنيتي، فتخيّلت أن ذلك لمكنتي، فقلت لي يا سيدي وأنا العبد، وتمثلت بين يديّ وكان ذلك عين الطرد، ويبيض وجهي حين توجتني، ولم أدر أن ذلك البياض سواد، إذ كنت قد استدرجتني وكلما رمت أن أنصح نفسي لم تقبل النصح وتقول:

ما أسوأ ظنك. ألسنت تدري أن ذكر الجفا في موطن الصفا جفا، أليست هذه كراماته عليه مترادفة، ومطالعاته عليك متضاعفة، فإذا قامت عليّ بهذه البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة، انخدعت لبرهانها، ومرحت في ميدانها، ولم أنظر إلى شر المذهب، وسوء المنقلب، إذا بلغت النفس التراق، وقيل من راق، والتفت الساق بالساق. وزلزلت أرض الجسوم زلزالها، وبان للنفس ما عليها وما لها، وزلت بها القدم، حينئذ تندم ولا ينفعها الندم، يا نفس لا يغرنك هذا البلد الأمين، ولا كمدك الذي لا يبين، واطلبي مشرباً آخر عذب العاقبة معصوماً من السهام الصائبة، والحظ ملاحظة حكيم، في ربّ منعم عظيم، أليس من أعطاك مما وهب فقد صيّرك قربته، أليس من أطلعك على سره فقد أهلك لمؤانسته، أليس من اختصك بالاطلاع على حرمه فقد ارتضاك إلى مسامرته.

يا روعي ليس الأمر كما بدا، وقد تأتي الضلالة في صورة الهدى، الحق وراء ذلك كله ومعه، كالشخص مع ظله فلن يدعه. أين من يتناول إليه بهمه^(٢)، أين من يقصده لقوة عزمه؟ أين من يريد الظفر بمنيته؟ أين من يطلب الوصول إلى بغيته، هذه الأعلام مرفوعة، والآيات منصوبة موضوعة، والنبأ صحيح، والنبأ بما قاله فصيح، آه لظاهر صاحبه العيب، ولباطن حشره

(١) في (ط): (ولا أخ مساعد).

(٢) في (ط): (بهمة).

ريب، وعين نومة معروفة بالأحلام، وقلب ملتد بعوافي الآلام، ونفس متبعة عند الأغراض، وهوى يلجأ إليه لرفع مرض الحاجات، وقساوة نيظت بالفؤاد، فألفها الجفا، ودين هجر بعادة سوء استمرت فدرس رسمه وعفا، وإصرار ثابت غابت عنه أعلام الشفا، وعلم رفيع شابه البلاء، فطوبى لمن ناح على فائته وبكى، ولازم باب من سيرده عليه فحن وشكا. هذا أوان شق الجيوب، وضرب الخدود، وإقامة المآتم والمنائح، فهذا هو الرزء الفادح.

يا كعبة الحُسن:

أما تراني أدير لك الدور على الدور، وأعطف لك الكور على الكور، وأرفع عنك الستر بعد الستر، وأكشف لك السرّ بعد السر، وأوضح لك الرمز بعد الرمز، وأنتقل لك من صفة إلى صفة. فعلي معك فعل ربي معي، وأنا لا أسمع، فإذا سمعت فلا أعي، اشتد وجعي لما دخل عليّ المتكلم والسامع يختصمان، وكلاهما يشكوان صدق الوجد ويعلنان، وقد احتاط السامع واسترسل القائل فذكر المنع والعطاء، فسألاني الحكم بينهما على السواء، فأبرزت السلو، قد اعروى ظهر الغدر وامتطاه، وأبرزت الشوق فجال في ميدان الذل، ومدّ خطاه، فتنزه السلو، وتدنس الشوق، وذلت حقيقة الصمت تحت سلطان النطق، وأمرت حاكم الشريعة والحقيقة فقاما بينهما مسدّدين حكيمين عدلين. فكانت الحقيقة الأول والآخر وكانت الشريعة الوسط فتميز الباطن من الظاهر، وعرف اليقين بالريب، والشهود بالغيب، فحكما بالفناء والبقاء في الفريقين ونصبا لهما العلم والعمل طريقين، فسلكا عليهما علماً ووهماً ويقظة ونوماً. فتأمل عافاك الله حكمة قد رفعت عنك حجابها، ومددت لك أسبابها، وأقمت لك أعلامها، فابحث عليها فيها، وانظر معانيها في مغانيها، فإن الغريب إنما يطلب في الغربة، فإن شددت على نفسك مئزر الحذر، وأمعنت فيما أورده عليك صحيح النظر، كنت المحرر من رق الكون، والمثبت في مشاهدة العين، وجيّرت كشرأ، ويسّرت ما كان عسراً، لا زالت قطوف الوصال دانية وجنّات الألفة عالية، ولا أذكرنا الأيام الخالية، فإنها الحسرة الباقية.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

٨ . الرسالة الوجودية

توسّل بها عبد القادر إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد القادر محمد بن علي إلى كعبة الحُسن وروضة المزن. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد

فإني أحمد إليك الله الذي ألهمّ وعلمّ ما لم أكن به عليمًا، وأُصَلِّي على من أُوتي جوامع الكلم وأسلم تسليمًا. أمّا بعد:

فإن العلم أشرف موهوب، وأجل مطلوب، وأعظم مصحوب، وإن كان شرفه بشرف معلومه، ورونقه البديع في حُسن تفهيمه.

فالشرف بالضدّ معروف، وبالنسبة إلى النقيض موصوف. فأشرف العلوم مرتبة، وأعظم المعارف منزلة معرفة النفس والرب، فإنها تؤدي إلى القرب، لحقيقة الصورة والمثّل، المتعالي عن الشكل، ولكن إعلام وإبهام.

يا كعبة الحُسن:

معناك ربّاني، وسرّك سرياني، فاسمع الرمز السرياني أَلَفْكَ نازلة إليك، وميمك نازلة منك عليك، وأنت بينهما تأخذين وتُعطين، فهل تُصيبين أو تُخطئين، فمن تلقى منك كما تلقيت كان ممن قابل البيت بالبيت. ما أشرفك يا واسطة العقد. ما أكرمك يا خاتمة العقد.

آه يا كعبة الحُسن:

واحرّ قلباه، واثكلاه. وهبت العالم الطريق إليك، فباعوك بالإعراض عنك. ليس الشقي كل

الشقي من زلت قدمه عن الطريق، فإنه قد كان فيه فزل وإنما الشقي كل الشقي من ضلَّ عن الطريق ابتداءً ولم يزل.

يا كعبة الحُسن:

إذا أشرقت الآفاق بالنور اللامع، وصلصلت الألحان للسامع، طلبت الأرواح المعراج، وهبت بالانزعاج، فزلزلت الهياكل الأرضية وتداخلت الحركات العلوية.

يا كعبة الحُسن:

أنت الأولى فأين ثانيك، انظري إليه فإنه في مبانيك، ومدرج في معانيك، إذا انفعل عنك وظهر عينه، ولاح لعينك بينك وبينه، فأفيض عليه من أنوار غيب ذاتك، ونزهيه في جمال سُبحاتك، فستلوح بين فيضك وقبوله أنوار الأشكال والأمثال فتلك الأعراس الإلهية المستورة في الجلال.

يا كعبة الحُسن:

احذري النار المركبة على هذا المركب.

يا كعبة الحُسن:

حلَّ الرمز، فقد جاءت دولة العزّ. فلا يقوم تركيب إلاّ بحلّ تركيب، انظري في سرّه، لما دُبِحت البقرة قام الميت بحياتها من قبره.

يا كعبة الحُسن:

الإعلام قبل الإلهام، وردّ الرسول من جنابك برقعة من غدا في^(١) إهابك. فقلت: يا للعجب! ركنٌ مُخلّق وإهابٌ ممزّق. حالة متناقضة الإحكام فقال الرسول لا تفعل هو إعلام، بأوان الإحرام، فتذكرت الشيب في قصة، وجاءني الأمر من قصه فسأله عن الحال المعلوم، وما بقي من محاسن الرسوم، فقال: إن الزهو قد شمل الشمائل، وإن السعدان عشب الخمائل، مرت الخميّة وزهرها، ومارت السماء وزهرها، فقلت: لعل تجلّى مكان الخشوع، أو عساها بارقة لموع؟ فقال: لا والحب إلاّ أن ورود الربيع أزهر، وليل السرور أقر. فخرج الطائعون.

يا كعبة الحُسن للفرج، وبقيت معطلة العشار فأدركها الحرج، وقالت: عرفت من أين ذهبت، وعلمت من حيث أوتيت، ما هو إلاّ ذلك الدّعي في حُبّي، والشهي في قربي، أثر البهار على النرجس، وغاب عن صحيفة المتلمس. أما عرف كيدي، أما تحقق أنه صيدي، متى

(١) في (ط): (حوا في).

وقع السراح، متى ملك المفتاح. ألم يعلم بأني العراقية الحجازية، والحقيقة المجازية، لئن وقعت عيني عليه، لا جعلته مثلاً في السائرين ومثلة للناظرين، وخبراً للمسافرين.

هيهات اغتر بجناحي وعطفي، وانخدع بإحساني ولطفي ما علم أن البطش شديد، ما تحقق أنه في لبس من خلقي جديد، فقلت للرسول: وقد ورد على آخر الفصول. ما هلك امرؤ عرف قدره. سلّم عليها، وبلغ ما أرسلك به إليها.
يا كعبة الحُسن:

بي عزّ وجودك، وبأخذي ظهر جودك، أنشأت ذاتك بيدي، وأوصيت بك ولدي، وتغربت إليك من بلدي، وجعلتك سلطنة، عليّ أخدم بابك، وألزم ركابك، وأقبل كل يوم يمينك. وأنت الثلث الآخر من الليل لتنزلي، وأنت الشوق الجناني لتشكلي في الصور وتحولي، غبت عن كونك محلاً.

يا محل التحجير والمنع، يا حضرة القدوم والرفع، عزّ عليّ حيدك عن المعرفة، وجهلك بالنكتة المعرفة. أين حجري من حجرك. أين يميني من يمينك، أين مقامي من مقامك. يا نشأة جماد قامت على مهاد.

أَعَزُّكَ^(١) مني أن حبّك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل
بعثت إليك بكتاب فناء واتحاد، وحديث طيب غير معاد فلم تطيبي به نفساً، ولا رفعت به رأساً، ما ناديت أذنأ صماء، ولا أبرزت رقوماً لمقلّة عمياء، ما رأيت لهذه الواقعة الشنعاء، سوى إظهار الأختين بالطائف^(٢) وبإقليم صنعاء^(٣)، وليس ذلك عن كفر بعد إيمان، ولا عن شبهة بعد برهان، ولكن معاملة بسريان المعبود في الوجود، وتصديق كلامه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه﴾^(٤) لنفي الجحود.

وهنا بهذه الإشارة انتهت الرسالة.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(١) في (ط): (أعزك).

(٢) مدينة بالمملكة العربية السعودية الآن.

(٣) صنعاء عاصمة اليمن الآن.

(٤) الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء.

كتاب القطب
والإمامين والمهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر برحمتك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه^(١) وسلم تسليماً

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

اعلموا وفقكم الله أن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل منزل القطب من الحضرة منزل السرّ، وهجيره من الأسماء «الإله». ثم جعل منزل الإمام الذي عن يسار القطب منزل الجلال والأنس، وله الاسم «الرب». وله صلاح العالم والثبات وعنده سر البعدية^(٢)، ويده المقاليد، وهو السيد الظاهر في العالم، وهو سيف الإمام القطب.

ثم جعل منزل الإمام الذي على^(٣) يمين القطب منزل الجمال والهيبة، وله الملك والسلطان بالمقام لا بالفعل، ويده مقاليد عالم الأرواح المجردين عن الصورة^(٤) المسخرين. وكيفية^(٥) هيأتهم في الحضرة الإلهية.

إن القطب وجه بلا قفا. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إني أراكم من وراء ظهري»^(٥).

(٥) سنعتقد مقابلة بين نسختنا المخطوطة ونسخة الكتاب المطبوعة بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن سنة ١٩٤٨ م ١٣٦٧ هـ وهذا للعلم وسأشير إليها هكذا (المطبوعة).

(١) في نسخة المخطوط (التغذية).

(٢) في النسخة المطبوعة (عن).

(٣) في النسخة المطبوعة (الصور).

(٤) في النسخة المطبوعة (كيف).

(٥) حديث: (إني أراكم من وراء ظهري). رواه الإمام البخاري في جامعه بلفظ (فإني لأراكم...) الصلاة (٤٠)، (الأذان) ٧٢، ٧٦، ٨٨. والإمام مسلم في الصلاة ١٠٩. والنسائي في الإمامة ٣٨، ٤٧. والإمام مالك في الموطأ في السفر ٧٠، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣٠٣/٢، ٢٧٥، ٣/٣. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث مادة (ظهر) ٩٣/٤.

فأثبت الظهر حكماً على العادة^(١). ونفى^(٢) حقيقته بوجود النظر منه وجعل الورا إثباتاً
لفقدهم^(٣). وجعل إمام اليسار ذا وجهين:
وجه مركب: وهو ما يقابل به العالم.
ووجه بسيط: وهو ما يقابل به القطب.
وجعل إمام اليمين ذا وجه واحد وقفاً. ثم غيَّبه عن الشعور بقفاه. فلو سئل لقال: إنه وجه
بلا قفا.
وقد بيَّنا منزل الإمامين في الفلك القلبي من كتاب «مواقع النجوم»^(٤) ونحن نتكلم إن شاء
الله في هذا الباب على منزل القطب والإمامين بما يليق بهذا^(٥) الكتاب.

(١) في المطبوعة (حكماء على المادة).

(٢) في المخطوط (ونفا).

(٣) في المخطوط (وجعل الوري إثباتاً لعقدهم).

(٤) تقدمت إشارات في الرسائل السابقة عن كتاب «مواقع النجوم»، وسيأتي الكلام عنه فيما بعد.

(٥) في المطبوعة (من هذا).

منزل القطب ومقامه وحاله

القطب: مركز الدائرة، ومحيطها، ومرآة الحق، عليه مدار العالم. له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حدّ واحد. لا يترجح واحد على صاحبه. وهي عنده لا خير ولا شر. ولكن وجود، ويظهر كونها خيراً وشرّاً في المحل القابل لها بحكم الوضع عند أهل السنة، وبالعرض والعقل عند بعض العقلاء.

قال تعالى: ﴿فَالْهَمُّهَا فَجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١).

وضعاً صحيحاً من سرّ إلهي به ظهرت الجنة والنار وجميع التنشئة^(٢) في الوجود نظير الحضرة الذاتية الإلهية. ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ - بِاسْمِ الذَّاتِ الْجَامِعِ - يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾^(٣).

وييده المنع والعطاء وعلى التحقيق الذي لاخفاء به عند المحققين أن ما ثم منع البتة بل عطاء سرمد لا ينقطع وفيض دائم. وإنما المنع في الوجوب^(٤) الإلهي الذي أطلق عليه لأمرين:

الواحد: إن المعطون ليس من حقائقهم أن يقبلوا العطايا كلها في الزمن الواحد. لكن يقبلوا بعضها فعدم القبول للبعض سميانه منعاً إلهياً. إذ قضية العقل عند من عبّدتهم عقولهم تعطى: أن لو شاء لأعطى الممنوع.

الممنوع له في الزمن الذي منعه إياه وهذا صحيح.

(١) الآية رقم (٨) من سورة الشمس.

(٢) في المطبوعة (النسبة).

(٣) الآية (والله يقبض ويبسط) هي الآية رقم (٢٤٥) من سورة البقرة.

(٤) في المخطوط (الوجود).

ولكن لو حرف مشوم ما اقترن قط إلا بما لا يكون.

قال تعالى:

﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا﴾^(١).

﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾^(٢).

﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾^(٣).

﴿لو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾^(٤).

وأما الآخر^(٥):

الذي لأجله سمي مانعاً وليس بمانع. وذلك أن العقول تقصر عن درك بعض ماهيات الموجودات فإن الحدود الذاتية عسيرة المنال. وأكثر العقول إنما تعرف الأشياء بالحدود الرسمية واللفظية. فأفاض الحق جوده على الأشياء فيضاً مطلقاً. كفيض الشمس نورها على الأرض للمبصرين فاختلف القبول لاختلاف المحال، لا أن النور مختلف، ولكن قبول الأجسام الصقيلة له ليس كقبول الأجسام الدرنة.

وأما من هو في كن فليس له إلا ضد النور وهو عطاء أيضاً، فيضيف المنع هذا المحروم الممنوع للحق، وهو الذي حجب نفسه إماً بحقيقته وإما بعرض مثل: الفعل، والكن، والران، والصدأ. وغير ذلك من العوارض التي يمكن زوالها ولكنها مدركة لحجبها إدراكاً صحيحاً، ولتشوقها إلى غير حجبها سميت ممنوعة مما تشوقت إليه.

فمنزل القطب: حضرة الإيجاد الصرف. فهو الخليفة^(٦) ومقامه تنفيذ الأمر، وتصريف الحكم وحاله الحالة العامة لا يتقيد بحالة تخصيص، فإنه السرّ العام في الوجود، وييده خزائن الجود، والحق له متجلى على الدوام.

ولهذا قال الصديق (رضي الله عنه):

«ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله».

(١) الآية رقم (٤) من سورة الزمر.

(٢) الآية رقم (١٧) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (١١٢) من سورة الأنعام.

(٤) الآية رقم (١٣) من سورة السجدة.

(٥) في المطبوعة (الأمر).

(٦) في المطبوعة (الخلفية).

وله من البلاد مكة، ولو سكن حيثما سكن بجسمه، فإنما^(١) محله مكة ليس إلا. ولا بد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية أن يبايعه كل سر وحيوان وجماد ما عدا الإنس والجان إلا القليل منهم.

وقد صنفنا في هذه البيعة وكيفية انعقادها كتاباً كبيراً سميناه «مبايعة القطب في حضرة القرب»^(٢). فالأسرار إليه منصبة إذا كان المحبوب يعرفه كل شيء فكيف بالقطب الذي توقفت عليه حوائج العالم من أوله وإلى آخره؟
قال (عليه السلام):

«إذا أحب الله عبداً أخبره حملة العرش وأمر جبريل أن ينادي في السموات باسم ذلك العبد حتى يعرفوه ويحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٣).

ولقد^(٤) رأيت من رأى الحية العظيمة التي طوّق الله بها جبل قاف المحيط بالأرض، وقد اجتمع رأسها مع ذنبها فسلم عليها فردّت عليه السلام ثم سألته عن الشيخ «أبي مدين»^(٥) الكائن ببجاية من بلاد المغرب. فقال لها:
وأتى لك بمعرفة أبي مدين.

فقلت: وهل على وجه الأرض أحد لا يعرفه؟ إن الله تعالى منذ وضع اسمه على الأرض ما بقي منا أحد إلا عرفه!

هذا هو حال المحبوب فكيف حال القطب الذي هذا المحبوب حسنة من حسناته وبه صلاح العالم، وإليه ينظر الحق من الوجود. ونرجو، إن شاء الله، عن قريب يظهر عينه للخاص والعام. فالزموا طريقته، وعضوا عليه بالنواجذ.

وسأل بعض العارفين عارفاً آخر، وأنا حاضر، بمدينة فاس عن شخص الوقت.

(١) في المطبوعة (فإنه).

(٢) لم نقف على نسخة المخطوطة حتى الآن ونود لو يعرف لنا أحد مكانها أو يعرفنا بها.

(٣) حديث (إذا أحب الله عبداً...). رواه البخاري في كتاب الأدب ١٤/٨، وكتاب التوحيد ١٤٢/٩، وكتاب بدء الخلق ١١١/٤. وانظر: الأحاديث القدسية وروايات هذا الحديث المتعددة، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٩١ م.

(٤) في المطبوعة (ولهذا رأيت).

(٥) (أبو مدين الغوث) هو سيدي شعيب بن الحسن المغربي، الأنصاري، الأندلسي، التلمساني (أبو مدين) صوفي كبير أقام بفاس، وأصله من الأندلس، وسكن ببجاية، وتوفي بتلمسان سنة ٥٨٩ هـ. بعد أن قارب الثمانين أو تجاوزها وله مؤلفات منها قصيدة، أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد، والحكم. انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٢/٤ - ٣، الزركلي: الأعلام، ٢٤٤/٣.

هل هو الآن موجود أم لا؟

فقال المسؤول: لا. ولكنه ينتظر.

فعرفنا قصوره، وأن ما عنده من معرفة سر الله المبثوث في العالم شيء. فلو علم أن القطب صاحب الوقت ما من يهودي ولا نصراني ولا نحلة من النحل وملة من الملل إلا ونفسها صبة إليه محبة فيه للسر المودع عنده وإنما تنكر الأشخاص للجنسية، وهي الفتنة الإلهية.

قال تعالى:

﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾^(١).

وقال:

﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾^(٢).

وقال:

﴿ما نراك إلا بشراً مثلاً﴾^(٣).

وقال:

﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾^(٤).

فهم ينكرون ظاهره إنكاراً يؤدي إلى الموت. وهم يعشقونه بأسرارهم، ولكن ليس لهم علم بأن هذا الشخص المطرود هو الذي عنده السر الذي تعشقوا به ولهذا كان عليه السلام يقول:

«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(٥).

وهكذا يقول الحمدي متاً حين قال من نزل عن هذه المرتبة ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾^(٦).

وهكذا يقول من ورث غير الحمدي متاً. فالقطب يتعجب ممن يقاتله عليه. فإن السر الذي

(١) الآية رقم (٩) من سورة الأنعام.

(٢) الآية رقم (٩٥) من سورة الإسراء.

(٣) الآية رقم (٢٧) من سورة هود.

(٤) الآية رقم (٣٣) من سورة المؤمنون.

(٥) حديث: (اللهم اهد قومي...)، وبلغ (اغفر لقومي...)، انظر: ما رواه البخاري في الاستبابة ٥، والأنبياء ٥٤ ومسلم في الجهاد ١٠٤، وابن ماجه في الفتن ٢٣. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث مادة (علم) ٣١٨/٤.

(٦) الآية رقم (٢٦) من سورة نوح.

قاتل الكفار عليه الأنبياء وذُّبوا عنه هو الذي جاء به الأنبياء وانصرفت به. فلما كان الظاهر ضيقاً لأنه طرف قرن الصور انضغط العالم فيه فحارت الأسرار لذلك الانضغاط، فلو انفسحت انفساح الملائكة لنظرت إلى الحق وهي مستريحة. والأقطاب متفاضلون في هذه المرتبة. قال تعالى:

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾^(١).

فأكمل الأقطاب: المحمدي. وكل من نزل عنه فعلى قدر من ورث. فمنهم عيسويون، وموسويون، وإبراهيميون، ويوسفيون، ونوحيون. وكل قطب ينزل على حد من ورثته من الأنبياء. والكل من مشكاة محمد (عليه السلام) الأمر الجامع للكل، وهم متفاضلون في المعارف غير متفاضلين في نفس القطبية وتدير الوجود، فإن هذه الدورة المحمدية، التي الولي فيها نبي، الذي ليست مثل الدورة التراية. فإن الدورة التراية كأن يوجد في الزمان الواحد نبين وثلاثة وأكثر. كل شخص لطائفة مخصوصة كإبراهيم ولوط في وقت واحد. فإن تلك الدورة تقتضي ذلك بحقيقتها، وهذه الدورة السيادية المحمدية ليست كذلك فإن الزمان قد استدار كأوله، ولهذا قال عليه السلام:

«لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني».

وقال:

«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»^(٢).

فليس الحكم كالحكم ولا الدورة كالدورة. (وقد تقدم الكلام في استدارة الزمان من هذا الكلام).

ولهذا قال، عليه السلام:

«إن عيسى وإن كان نبياً فإنه يؤمننا منا لا منه ويكون من جملة أولياء هذه الأمة»^(٣).

فقد جمع (صلى الله عليه وسلم) بين النبوة في دورته، والولاية في دورتنا فله حشران. فإذا قلت فيه وليّ فالصديق خلفه وغيره.

(١) الآية رقم (٢٥٣) من سورة البقرة.

(٢) حديث: «إذا بويع الخليفتين...»، رواه مسلم، وأحمد عن أبي سعيد الخدري عن عليّ والعباس معاً. قال الدميري في شرح منهاج النووي ولا يجوز نصب إمامين في وقت واحد، وإن تباعد الإقليمان بهما. أنظر: العجلوني: كشف الحفاء، ٨٤/١ حديث رقم (٢١٢).

(٣) حديث: «إن عيسى وإن كان نبياً...» لم أقف على تخريجه.

وإذا قلت فيه، عليه السلام، نبي رسول. فالصديق إمامه وغيره. فما أعجب معرفة الحقائق.

وهكذا «إلياس» وكل رسول أدرك محمداً بهذه المثابة ولهذا قال:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾^(١).

فكانهم مثل النبي للناس.

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾^(٢).

أي: خياراً

﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾^(٣).

فعجل حكمنا ومنزلتنا في غيرنا من الأمم منزلة الرسول منّا فنحن في حقهم رسل. ولهذا قال، عليه السلام:

«علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم»^(٤).

في هذه المنزلة والمرتبة. وكما يحشر كل نبي مع أمته كذلك يحشر كل قطب مع أهل زمانه صالحهم وطالحهم. وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بمحمد عليه السلام أن الرسول يحشر جري الحكم لاقرانه بطائفة مخصوصة. والقطب منا ليس كذلك فإنه عامّ جامع لكل من في زمانه من برّ وفاجر، وإن كان ورثه عيسوياً أو موسوياً فلا يقدر ذلك فيه. فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعز وقد نبّه عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال عن طائفة ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون للبركة المحمدية التي نالته من المقام الأعم. وسيأتي إن شاء الله من هذا الكتاب أبواب كثيرة في أحوال الأقطاب تفاضلهم في المنازل مستوفى إن شاء الله تعالى، وبين أيدينا اليوم تلميذ يخدمنا أرجو أن يكون منهم، من أكابرهم، وقد بشرناه بذلك.

وأما مناجاة هذا المنزل المبارك، فأنا أذكرها وحينئذٍ أذكر منزل الإمامين إن شاء الله من هذا الباب.

(١) الآية رقم (١١٠) من سورة آل عمران.

(٢) الآية رقم (١٤٣) من سورة البقرة.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) حديث: (علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم). لم أقف عليه بهذا اللفظ، والمشهور العلماء ورثة الأنبياء.

مناجاة هذا المنزل المحمدي^(١)

تلك تيممة الولهان لطارق الإنس والجان.

فقل:

«أعوذ بالإله الملك الرب من شر ما يطرأ في القلب وحاك في الصدور [من]^(٢) محدثات الأمور، وسمة القلوب في ظلم الغيوب بالسر الموهوب.
﴿ذلك حكم الله بينكم﴾^(٣).

يا أيها الناس أنتم ثلاثة أطباق. هلال الطبقين في محاق وشمس الواحد في إشراق. ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾^(٤) يصلح العالم بعلمه، ويؤتي الملك بحكمه وينفرد الوسط وإن تأخر في المسطور بسر نظمه. ﴿إن ربك حكيم عليم﴾^(٥) سر الغيوب والشهادة علم في رأسه نار يضيء للبصائر السليمة والأبصار، ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾^(٦) من جاء ثم خنس لم يزل في لبس من خلق جديد، ﴿والله على كل شيء شهيد﴾^(٧).
خُتِمَتْ.

(١) في المطبوع والمخطوط (المحمدي) باعتبارها (منزلة).

(٢) زيادة من المحقق يقتضيها السياق.

(٣) الآية رقم (١٠) من سورة الممتحنة.

(٤) الآية رقم (٨٦) من سورة الحجر.

(٥) الآية رقم (٨٣) من سورة الأنعام.

(٦) الآية رقم (١٩) من سورة النحل.

(٧) الآية رقم (٦) من سورة المجادلة.

تكتب منزل هذه المناجاة لمن أصابه من الشيطان عارض ولم في براء، ولصاحب الوسوسة فإنه ينفعه إن شاء الله تعالى:

«اللهم بحق إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومحمد والحسن والحسين صلى الله على جميعهم إلا ما شفيت صاحب هذه الأسماء وحاملها من كل داء وعصمته من كل شر يهيجس في النفس وتجري به الرياح».

منزل الإمام الأكمل الذي على يسار القطب

بينه وبين منزل الاتحاد أن يموت القطب فينتقل السر إليه. فإن الاتحاد للقطب. لأن الإمام قد يموت في إمامته ويولي مكانته الإمام وينتقل واحد من الأربعة إلى مكانة الإمام الآخر، وهكذا يتفق في الإمام الآخر فلهذا الإمام المسمى برب العالم، وهو عبد الرب.

فَمَا قَاتَلُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَرَبِّهِمْ وَلَا أَذْنُوا جَارًا فَيَظُنَّ سَالِمًا

فعبد الإله هو القطب وليس عبد الله أحد ألبته، وهذا الإمام عبد الرب، والإمام الآخر عبد الملك، وأسماء بقية العبيد على حسب مقاماتهم. فلهذا الإمام معرفة سر الأسرار، وله التدبير الإلهي، وله في العدد أسرار إلهية لا يعرفها غيره، ويختص هذا الإمام بعلم الصنعة المعشوقة ويعلم خواص الأحجار، وهي عنده مكتمة وربما قد يحصل من معرفة أسماء الانفعالات ما يكون منها حقيقياً وله في المحاربات والمكائد أمرٌ عجيب، وهو على النصف من عمره مع العالم، على النصف مع القطب، أو الحق المخلوق على السواء، إلى أن ينتقل إلى القطبية أو يموت. وقد تظهر صولته في عالم الكون بالسيف، وقد تظهر بالهمة على حسب ما سبق له في الأزل.

وهذا الإمام عنه تظهر أسرار المعاملات على هذه الهياكل الترايية، وله خمسة أسرار:

* سر الثبات:

به يعلم حقائق الأمور، وبه يدبر ويفصل، ويولد ويزوج، ويعثر على سر الرموزات وفك الطلسمات وأصول الأشياء الظاهرة والباطنة. والحقيقية وغير الحقيقية، وله خرق السفينة وله إقامة الجدار وليس له قتل الغلام من حاله وكشفه. وإن قتله يوماً ما فعن أمر القطب.

* وأما السر الثاني:

من الخمسة. فهو سر التملك. به يرحم الضعفاء، وينجي الغرقى، ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق، ويجود على من أساء، ويعفو عن الجرائم، ويصفح، ويقل العثرات، ويجمع بين المتعاشقين، والوالدة وولدها وهو يطوي الطريق على القاصدين لما اشتاقوا إليه وما أعطته الحقيقة الروحانية على عمومها من هذا السر ينبعث ظهوره في الوجود.

* وأما السر الثالث:

فهو سر السيادة، وبه يفتخر ويدي حقيقته ويقول: «أنا سيد ولد آدم»^(١).
«وأني أنا الله لا إله إلا أنا»
«وسبحاني».
«وما في الجبة إلا الله».

وما أعطته الحقيقة التي تظهر مكانته ورفعته فمن هذا السر.

* وأما السر الرابع:

فهو سر الصلاح، وعن هذا السر الذي له يحمل الخلق على المكاره التي فيها نجاتهم وتجنبهم عن المملذوذات التي فيها هلاكهم، وهذا السر يحول بين الولد ووالده وبين المتعاشقين، وإن تحابا واجتمعا لله وفي الله يسعى في تفريق الشمل بين المخلوقات، فإن هذا السر يعطيه بحقيقته أن الأشياء القلبية لم يخلق بعضها لبعض ولا لغيرها إلا لله تعالى فهو يردها إلى مقام التفريد إلى الله، وهو الذي أريدت له ولذلك قال:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(٢).

أي: ليعرفون. ولم يقل وما خلقت الجن والإنس ليأنس بعضهم ببعض، ولا يتعشق بعضهم ببعض، ولا ليعرف بعضهم أسرار بعض. وإنما خلق المكلف من أجله فلا ينظر إلى غيره. فهذا السر يقطع الإمام القلوب عن غير الله ويردها إلى الله. وما من حالة من هذه الأحوال إلا والناس يجدونها في نفوسهم ولا يعرفون من أين تنبعث ومعدنها قلب هذا الإمام فهو في

(١) حديث: (أنا سيد ولد آدم)، رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة من حديث وهو عند أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد في حديث بزيادة (ولا فخر). انظر: كشف الخفاء للعجلوني حديث رقم (٦١٦) ٢٠٣/١.

(٢) الآية رقم (٥٦) من سورة الذاريات.

حكمه على حسب السرّ الذي يقوم في حق الشخص المنظور إليه بما سبق في علم الله منه فيقيم السرّ في قلب الإمام على ذلك. وما أعطته الحقيقة التي فيها صلاح الخلق عن هذا السرّ ينبعث.

* وأما السرّ الخامس:

فهو سرّ التغذية، وبه ينزل المطر، ويدّر الزرع، ويطيب الزرع، وتحدث الشهوات، وتنضج الفواكه، وتعذب المياه وبه تكون القوة تسري في أهل المجاهدات والمحاضرات حتى يواصلون الأيام الكثيرة من غير مشقة والسنين العديدة من غير التفات ولا ضرر، وله تمد الحقيقة الإبراهيمية، والميكالية، والمحمدية، والإسرافيلية، والجبريلية، والآدمية، والرضوانية، والمالكية. فإن مدار بقاء العالم على هذه الثمانية. وسرّ بقاء العالم غذاؤه ولهذا الجوهر غذاؤه تجديد أعراضه على الدوام والتتالي فمهما غرى عنه زمناً فرداً عدمت عينه وبهذا السرّ يتحقق غداء الأغذية. وقد ذكرناه في «مواقع النجوم» في بعض النسخ لأننا استدركناه في الكتاب وقد خرجت منه نسخ في العالم وما أعطته الحقيقة التي بها بقاء العالم ظاهراً وباطناً جسماً وروحاً ونفساً فعن هذا السرّ ينبعث.

فهذه خمسة أسرار يختص بها هذا الإمام واسمه عبد الرب وفي هذا المقام عاش الشيخ «أبو مدين»^(١) بيجاية إلى أن قرب موته بساعة أو بساعتين أخلعت عليه خلعة القطبية ونزعت عنه خلعة هذه الإمامة وصار اسمه عبد الإله. وانتقلت خلعته باسم عبد الرب إلى رجل ببغداد اسمه عبد الوهاب. وكان الشيخ أبو مدين قد تناول له بها رجل من بلاد خراسان ومات الشيخ قطباً كبيراً. وكان له من القرآن:

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾^(٢).

وسياتي الكلام على حاله عند ذكر أبواب الأقطاب من آخر الكتاب.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الآية رقم (١) من سورة الملك.

منزل الإمام الروحاني الذي على يمين القطب

اعلموا

أن هذا الإمام صاحب حال لا صاحب مقام. مشغول بنفسه من جهة مالكة، واسمه عبد الملك، وإضافته إلى الخلق إضافة غير محضة، متمكن القدم في الروحانية له علم الأسماء وليس عنده من علم الأرض خير، للملأ الأعلى به تعشق، وله تشوف أكثر من الإمام الأول لقوة المناسبة.

وليس عنده سر إلا منهم لذلك هو غير مختص فإنهم، رضي الله عنهم، على ضريين: محمول، وغير محمول.

فالأول: قائم بنفسه غير محمول.

وهذا: محمول غير قائم. واقف خلف حجب السبحات يرى نفسه وربّه على حكم ربه لا على حكم نفسه.

بخلاف من نزل على مرتبته، فإنه يرى ربه كمحل حكم نفسه فأوقاته مشغولة بما هو فيه، فهو للقطب مرآة، والآخر للقطب محل ومرآة.

وإن كان الأول حظه اللوح والقلم الأعلى.

فحظ هذا الثاني الإلقاء بما يناسب العلو. وله سرّان:

سرّ العبودية، وسرّ السيادة.

فبسرّ العبودية: هو يسبح الليل والنهار لا يفتر، فالتحق بالعباد المكرمين غير أن المقام فيه أمر سفلي. فإن الأعداء نطقوا بأنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

فإضافتهم إلى الرحمن إضافة محضة خالصة ولهذا انسحب عليهم اسم الأنوثية. فلو كانوا عباداً للإله لغلبت عليهم الذكورة. وعند الملك من عباد الرحمن. ولذلك هو منكحة للروحانيين يلقي إليه وينزل فيه، ولا يلقي إلى أحد ولا ينزل في أحد.

فالأسرار والمعارف والعالم العلوي ينكحه ولا ينكح أحداً، وكذلك كل روحاني من الملائ الأعلى، إذا لم يكن لهم في العالم السفلي أثر فهم منكوحون غير ناكحين، ومن كان منهم له عندنا أثر فهو منكوح وناكح، فيغلب عليه التذكير، لأنه الأسبق والأشرف.

تقول العرب:

الفواطم وزيد خرجوا.

ولم تقل: خرجن.

وإن كان الذكر واحداً والفواطم جماعة. فالتغليب للذكر فتفهم هذا فإنه إشارة لطيفة دقيقة.

فعبد الملك مؤنث علوي صحيح الحال. عبد فارغ من الكون واقف بين يدي الحق، وهو كان الغالب من حال صاحب (محمد بن علي بن عبد الجبار النفري)^(١) صاحب «الموقف». بهذا قد بينت في هذا الباب منزل القطب والإمامين على مقتضى ما يحتاج إليه في هذا الكتاب وقد تقدم في الكلام أول الكتاب على القطب وحقيقته ومنشأه ومصدره وأنه واحد أعني سر القطبية. فانظر هناك.

(١) محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري (أبو عبد الله) صوفي، من آثاره: المواقف والمخاطبات في التصوف، توفي رحمه الله سنة ٣٥٤ هـ. انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ١٠/١٢٥، الزركلي: الأعلام، ٧/٥٥، وانظر: كتاب المواقف والمخاطبات، طبعة آريزي وطبعة الهيئة العامة للكتاب.

محاضرة قطبية في حضرة غيبية

كنت ببلاد المغرب بمدينة فاس. وقد آنست من نفسي بعض إيناس، بما استمرت عليه من العوائد، وذهلت في ذلك الحين عن مشاهدة الشاهد، فتنبهت فإذا بالكون قد أخذ بخناق، وشد أسري ووثاقي، وأحاطت بي ذنوب الحجاب، فقممت خائفاً خلف الباب، طوراً أفزع، وطوراً أتسمع، فإذا بالباب قد فتح، فخرج صدري وشرح، وإذا بالقطب واقف.

فتبسم وقال: ما يريد العارف؟

فقلت لي: إلى ملأنا العلوي ارتياح، لصفات ظهرت علينا فباح. وأنا قد وقفت من سري على ما يكون أمري، وإنما غرضي لذة الحال، وأخذ في الترحال. وقد نظر في الملأ الأعلى بعين السخرية والازدراء.

فقال: اكتب عني ما يبدو لك مني.

فمازلت أنظر إليه والأسرار ترد علينا وما يريد القطب ماثل بين يدينا فأشهدته عنه في ذلك المشهد العيني والسر الربّي، فكأنني بلسانه أتكلم وعن ضميره أترجم، حتى أتيت على آخر النظم وأمرت بالكتم، وكتبت الكتاب، وسارت به المتمة على براق الصدق إلى أن أحطت بالأحباب، فعرفوا مقدارهم.

فصل

قال يوسف بن الحسين:

سمعت ذا النون المصري يقول لبعض من يزور أبا يزيد:

قل لأبي يزيد إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت القافلة؟

قال: فخرج الرجل قاصداً لأبي يزيد وسلم عليه وقال له: أبو يزيد يقرئك السلام ويقول لك إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة؟

فقال أبو يزيد:

قل لأخي ذي النون:

إن الرجل كل الرجل من ينام الليل كله فإذا أصبح أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة.

قال فرجع الرجل إلى ذي النون فأخبره فقال:

هذا كلام لا تبلغه أحوالنا هنيئاً له. هذا المنزل منزل عالي شريف فيه أسرار عجيبة ومعادن لطيفة، القائم بهذا المنزل عبد الرب. وهو الإمام الأكمل الذي يقدم فيه سر الصباح والظلام والدخول والتمايم والرموز والتحاسد.

سلوك أهل الطريق إلى الحق على طريقين:

* طريق يسلكونها بأنفسهم وهو قوله «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

* وطريق يُسلك بهم عليها وهذه حالة المرادين المقتطعين.

والأولى حالة المرادين والمنقطعين. ومع هذا فكلا الفريقين سالك وإن سلك به ومثالهما في

السفر الحسي سلوك المشاة في قطع المسافات وسلوك راكبي البحر. ولهذا شبه بعضهم سير العمر بالإنسان براكب البحر:

قال قائلهم:

فَسِيرُكَ يَا هَذَا كَسِيرِ سَفِينَةٍ بِقَوْمٍ قُودٍ وَالْقِلَاعُ تَطِيرُ

فيظهر من كلام أبي يزيد أنه يريد هذا السفر.

وقوله: أصبح آمناً في المنزل قبل نزول القافلة.

فدلّ كلامه على أنه طالب ما طلب القافلة، ونال وهو نائم مستريح ما طلب وتنعم به قبل وصول القافلة. فزاد عليهم بالراحة والنعيم مثل الفقراء مع الأغنياء بنصف اليوم الذي يختصون به في نعيم الجنة، ثم تدفع الشركة بعد ذلك.

هذا هو الظاهر من كلام أبي يزيد. ولكن له عندنا مدرك رفيع خلاف هذا مذكور في شرح أحواله في الكتاب الذي سميناه «مفتاح إقبال إلهام التوحيد»^(١).. فلينظر هناك.

ثم نرجع ونقول:

قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^(٢).

وقال:

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٣).

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٤).

وقال:

«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»^(٥). وهذه بحور لا سواحل لها. ولكن لا بد لنا أن نظهر منها قدر ما يليق بهذا الكتاب حتى نستوفيها على مقتضى ما تعطيه مرتبة هذا الكون، إن شاء الله.

(١) هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ولم يعثر عليه حتى الآن.

(٢) الآية رقم (١) من سورة الإسراء.

(٣) الآيات (٩، ٨) من سورة النجم.

(٤) الآية رقم (١١) من سورة النجم.

(٥) حديث: (ما وسعني أرضي ولا سمائي...)، أورده العجلوني في كشف الخفاء، تحت رقم (٢٢٥٦) انظر ٢/

فاعلم

أن القلوب التي اعتنى الله بها على ضربين:

* قلوب غلب عليها الشوق.

* وقلوب لم يغلب عليها الشوق.

فالقلوب التي لا شوق لها وصلت إلى شاهد علمها بسير من أنواع المعاملات وقنعت واطمأنت. ولذا قيل للمطمئنة:

﴿ارجعي إلى ربك﴾^(١).

وأين هو هذا المقام من قوله: ﴿ألم تر إلى ربك﴾^(٢).

ثم أسدل الحجاب وقال: ﴿كيف مدّ الظل﴾^(٣).

فرده إليه. فواحد يدعوه من نفسه^(٤) [إليه، وآخر يرده منه إلى نفسه بإبقاء منه عليه.

والقلوب المشتاقة على نوعين:

قلوب أسبابها قوية فتطيق السري.

وقلوب أسبابها ضعيفة فلا طاقة لها على ذلك.

ولا بد من المشاهدة: الرؤية^(٥)، وللاعتناء والقدم والصدق. فالتقوي طوبى بقوته فقيل له: سر إلينا واخترق الأكوان كلها حتى نزل لعلمه بقوته، وإنه لا يحجبه شيء ولا يتعشق بشيء. وقيل للضعيف: لا تخترق ولا ترحل إلينا، فإن الشقة بعيدة، والفتن كثيرة، والنفس ضعيفة وتخيّل أنها قوية لأنها ما عاينت غير ذاتها.

ولهذا قيل:

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضِ طَلَبِ الطُّغْنِ وَخَدَهَ النَّزَالِ.

وكم رجل يدّعي الشجاعة والنجدة. فإذا تراءى الجمعان ذهل، وخار، وجبن.

وكم رجل يدّعي الشوق إلى أمر ما، وهو لم يعاينه فيرحل إليه، فيقع عينه في الطريق على

(١) الآية رقم (٢٨) من سورة الفجر.

(٢) الآية رقم (٤٥) من سورة الفرقان.

(٣) استكمال الآية.

(٤) من هنا سقط من النسخة المطبوعة حوالي ثلاث صفحات انظر نهاية المعقوفة.

(٥) هذه الكلمة مستدركة من هامش المخطوط.

شيء مستحسن فيتعشق به فيحيط رحله هناك، وذلك مبلغه ويطل شوقه الأول لذلك المطلوب، وربما يكون أجمل من الذي وقف معه، ولكن لضعف العلم حجب عن ذلك.

فإذا علم من القلوب المشتاقة هذا الضعف لم يخترق بها الحق إليه عالم الكون ولا نزل منازلته فتبقى معها، ولكنه تركها مستريحة في منزلها بشوقها إليه، وكشف عن عينها وتجلي لها من خلف حجاب علمها فلم تر غيره ولم تأنس بسواه. فصح لها المطلوب من غير بلوى ولا تعب. ويتلى الرجل على حسب دينه. أي: على حسب قوته وشدته في دينه.

فلهذا ما فضل بين المقامين.

ولما كان ذلك المدرك مدرك الأنبياء، وضعفت عن جملة قلوب الأولياء نزل الحق إليها بلطيف المشاهدة وأراحها عن المكابدة والمجاهدة فرمما يقول الصوفي: فمن أين سماه أبو اليزيد رجلاً كلياً وهو بهذا الضعف؟

ثم القافلة تدركه في المنزل وليست قافلة الأنبياء ولكنها قافلة ضعف السلاك. فهذا مدرك غوره بعيد وذلك أن الحق ليس على مرتبة واحدة فيحاط بها، وليس للقلوب قدم في علم بذاته كعلمها بها وغاية علم العلماء في الأسماء والرسوم وفي بعضها لا في كلها.

قال (عليه السلام) في بعض أدعيته:

«وبكل اسم استأثرت به في علم غيبك»^(١).

فأعطى لفظة كل إحاطة علمه فإن علم الحق محيط بأسمائه ولم نحط نحن إلا بما عرفنا منها. وإذا اجتمعت علوم العلماء أهل العلو والسفل ما عندهم من العلم إلى جانب علم الله إلا ما قال الخضر لموسى عند نقر الطائر بمنقاره في البحر فإذا ثبت أنا لا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، ولا علم واحد إلا وهو طريق إليه ودليل عليه علا ذلك العلم أو سفل. فالعلم بالذرة، وإن كان أصغر المخلوقات والبعوض وما فوقها في الصغر دليل على الله لا محالة. وطريق إليه وكذلك العلم بالعرش والكرسي. وإن كان أعظم موجود في العالم وأكبر فهو دليل على الله لا محالة وطريق إليه ولكل واحد من^(٢) الأصغر والأكبر والأعلى والأسفل والأشرف والأوضع وجهان: وجه يجتمع به مع ضده يدل على الله ووجه ينفرد به كل واحد عن صاحبه يدل به أيضاً على العلم بالله.

(١) حديث: (وبكل اسم استأثرت به في علم غيبك)، هو من المأثورات في الدعاء عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله (اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي وجلاء همي وحزني ونور بصري وسمعي....) ويقال دائماً في ختم القرآن.

(٢) هنا آخر الفقرة التي سقطت من النسخة المطبوعة وهي تصل إلى حوالي ثلاث صفحات كما أشرنا تقريباً.

فالطرق وإن تنوعت وتشعبت فكلها منه انبعثت وإليه تعود كالخطوط الخارجة من نقطة الدائرة إلى المحيط.

فإذا تقرر هذا وتبين تشعب الطرق إليه فاعلم أيضاً أن له - جل وعلا - لكل طريق وجه لا يشبه الوجه الآخر كما لا يشبه الطريق الطريق. فاختلقت إذاً المعارف ولا نقول تضادات فصار كل متكلم عن الله بعد مشاهدة كانت منه إليه إنما ينطق عن حقيقة، وقد خالف طريق صاحبه فاختلقت المشاهدة فتنوع المشهد فتنوع العبارة فوقع الإنكار عند السامع المحجوب الذي ليس له مدخل في هذه الحقائق. فسمع محققين قد اختلفا وكلاهما يقولان: الله أريد بما أقول. فيحمل السامع كلامهما على الجهل ويقول: لا بد أن يكون الحق عند أحدهما. أو ليس عندهما حق على حسب ما تعطيه القسمة من الانتشار أو الانحصار. وكلاهما مصيب لا محالة عند المحقق العارف بالحضرة الإلهية.

فإذا ثبت هذا فقد تبين أن الساري إلى الحق والنائم في المنزل كلاهما سارٍ، وكلاهما عند الصباح واصل. غير أن المشاهدة اختلفت إذ ليس طريق النوم التعب.

كان عليه السلام يحمد على السراء بالمنعم المفضل، وعلى الضراء بعلى كل حال، والمحمود واحد من حيث الذات، والمحمود مختلف من حيث الصفات والأسماء. فإن الصفة التي تكون عنها الذات ليست الصفة التي تكون عنها الآلام فلا وجود للصفات إلا بالذات. ولا معنى للذات إلا بالصفات فإذا بالجملة نسلم لمن قال: الحمد لله الراحم.

ونسلم لمن قال: الرحمن

ولهذا حق يرجع إليه. فالأمر دقيق يعسر على الأفهام.

فأبو يزيد نام عاشقاً ومحبوبه عند رأسه تطلبه القافلة والقافلة أصبحت فحطت عند مطلوبها في الوقت الذي استيقظ فيه أبو يزيد برقيقتين صحيحتين مختلفتين متماثلتين وقد ذكرنا هذا المقام مرموزاً في كتاب «عنقاء مغرب» في مرجانة^(١).

(١) كتاب عنقاء مغرب، طبع هذا الكتاب من قبل.

مناجاة هذا المنزل

بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك حجاب الحق من طوارق الخلق وتمائم الطواسم من شر الطلاسم، إذ انفجر الصبح ودخل القمر في صورة القبح، فتعوذوا بالله من شره واسألوا أن يدرأ عنكم أليم ضره وهو اللطيف الخبير.

خُتِمَتْ من كتب هذه التميمة ومسكها عند نفسه فإنها تحل المعقود وتقي من حوادث العالم العلوي ما فيه مضرة وتعصم من العين.

﴿فسيكفيهم الله وهو السميع العليم﴾^(١). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

انتهى الكتاب والحمد لله رب العالمين.

بلغت المقابلة بحمد الله تعالى على الأصل المقابل على الأصل المقروء على المؤلف، رضي الله عنه.

المعلوم من عقائد أهل الرسوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

[قال الشاهد]^(١)

إنه اجتمع أربعة نفر من العلماء، اجتمعوا^(٢)، في (قبة ارين) تحت خط الاستواء، في وسط الأرض بأرض الهند^(٣)، فالواحد مغربي، والثاني مشرقي، والثالث يمني، والرابع شامي، فتجاولوا^(٤)، في العلوم، وفي الفرق بين الأسماء والرسوم. فقال كل واحد لصاحبه: لا خير في علم لا يعطي سعادة الأبد، ولا يقدر صاحبه عن تأثير الأمد، فلنبحث في هذه العلوم التي بين أيدينا عن العلم، الذي هو أعز ما يطلب، وأفضل ما يوهب و^(٥) يكتسب، وأسنى ما يحفظ^(٦)، ويدّخر، وأعظم ما به يفتخر. فقال المغربي: —

عندي من هذا العلم، العلم القائم الحامل، وقال المشرقي: - عندي من هذا العلم، العلم بالحامل المحمول اللازم، وقال الشامي: - عندي من هذا العلم، علم الابداع والتركيب، وقال

(*) لم يثبت الناسخ ديباجة هذه الرسالة، وابتدأها كما يلي: (ومما حكاه الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، قدس الله سره العزيز، وأدام الله النفع به، وبعلمه آمين، في رسالة سماها: رسالة: (المعلوم من عقائد علماء الرسوم) وقد ورد العنوان في مقدمة (الفتوحات المكية)، ٣٨، (المعلوم من عقائد أهل الرسوم)، ولذلك أثبتناه كما أورده (ابن عربي).

(١) في الفتوحات (قال الشادي)، وتجدر الإشارة إلى أننا أهملنا الفروقات غير المهمة، التي لا تؤثر على سلامة المعنى بين هذه النسخة ومقدمة الفتوحات المكية.

(٢) اجتمعوا حاشية.

(٣) (في وسط..... الهند) حاشية، ولم ترد هذه الجملة في الفتوحات.

(٤) الفتوحات، (فتجاروا).

(٥) (يوهب و) حاشية.

(٦) (يحفظ و) حاشية.

اليمني: - عندي من هذا العلم، علم التخليص والتركيب، فقال المغربي^(١): ليظهر كل^(٢) منا ما وعاه، وليكشف حقيقة ما ادعاه.

(١) الفتوحات (ثم قالوا).

(٢) في الأصل (كلاً) والصواب ما أثبتناه.

الفصل الأول:

في معرفة العلم الحامل القائم بلسان المغربي

قال الإمام المغربي: - لي التقدم من أجل مرتبة علمي، فالحكم في الأوليات حكمي.
فقال أصحابه: - تكلم وأوجز وكن البليغ المعجز.

فقال: - اعلّموا أنه ما لم يكن ثم كان، واعتدلت في حقّه الأزمان، ثم قال^(١): فالمكون يلزمه في الآن [١٧١ ظ] ثم قال: كل ما لا يستغني عن أمر ما، فحكمه حكم ذلك الأمر، ولكن إذا كان من عالم الخلق والأمر، فليصرف الطالب النظر إليه، وليعول الباحث عليه. ثم قال: من كان الوجود يلزمه، فإنه يستحيل عدمه، والكائن ولم يكن، يستحيل قدمه، ولو لم يستحل عليه العدم؛ لصحة المقابل في القدم، فإن كان المقابل لم يكن، فالعجز في المقابل مستكن، وإن كان، فيستحيل على هذا الآخر الحديث الصحيح: (كان الله ولا شيء معه)^(٢)، كان ومحال أن يزول بذاته لصحة^(٣) الشرط واحكام الربط. ثم قال: وكل ما ظهر عينه^(٤) ولم يوجب حكماً، فكونه ظاهراً محال، فإنه لا يفيد علماً. ثم قال: ومن المحال تعمير المواطن؛ لأن رحلته في الزمان الثاني، ومن زمان وجوده لنفسه، وليس بقاطن، ولو جاز أن ينتقل، لقام بنفسه، واستغنى عن المحل، ولا يعدمه ضد لاتصافه بالفقد، ولا الفاعل فإن قولك فعل لا شيء، لا يقول به عاقل^(٥). ثم قال: من توقف وجوده على فناء شيء، فلا وجود له، حتى يفنى، فإن وجد، فقد فني ذلك الشيء المتوقف عليه، وحصل المعنى. من تقدمه شيء فقد

(١) الفتوحات (ثم قال) غير موجودة.

(٢) الحديث... معه) حاشية، وتقدم تخريج الحديث.

(٣) (لصحة) حاشية.

(٤) (عينه) زيادة من الفتوحات.

(٥) (ولا يعدمه... به عاقل)، زيادة من الفتوحات.

انحصر دونه وتقيده، ولزمه هذا الوصف، ولو تأيد، فقد ثبت الأين بلا مَين^(١) ثم قال: ولو كان حكم المسند إليه حكم المسند، لما تناهى العدد، ولا صح وجود من وُجد. ثم قال: ولو كان ما أثبتناه يخلى ويملى، لكان يبلى ولا يُتلى^(٢)، ثم قال: ولو كان يقبل التركيب لتحلل، والتأليف لاضمحل. وإذا وقع التماثل، سقط التفاضل. ثم قال: ولو كان يستدعي وجود سواه ليقوم به، لم يكن ذلك سوى مستنداً إليه، وقد صحّ استناده، فباطل أن يتوقف عليه وجوده، وقد قيده إيجاده. ثم قال: وصف الوصف محال، فلا سبيل إلى هذا العقد بحال [١١٨]. ثم قال: الكُرة وإن كانت فانية، فليس لها ناحية، إذا كانت الجهات إليه، فحكمها عليه، وأنا منها، خارج عنها، وقد كان ولا أنا ففيم التشعب^(٣) والعنا؟.

ثم قال: كل من استوطن موطناً، جازت رحلته، وثبتت نقلته، من حاذى بذاته شيئاً، فإنه يحده التثليث ويقدره، وهذا يناقض ما كان العقل أولاً^(٤) يقرره.

ثم قال: لو كان لا يوجد شيء إلا عن مستقلين اتفاقاً واختلافاً، لما رأينا في الوجود افتراقاً وائتلافاً، والمقدر حكمه حكم الواقع، فإذا التقدير هنا للمنازع ليس بنافع.

ثم قال: إذا ثبت^(٥) الشيء هنا في عينه، جاز أن يراه العين بعينه المقيدة بوجهه وجفنه، وما ثم علة توجب الرؤية في مذهب أكثر الأشعرية، إلا الوجود بالبينه وغير البينه، ولو كانت الرؤية تؤثر في المرئي لأحلناها، فقد بانت المطالب بأدلتها كما ذكرناها.

ثم صلى وسلم بعد ما حمد، وقعد، فشكره الحاضرون على إيجازه في العبارة واستيفائه المعاني في دقيق^(٦) الإشارة.

(١) المين: الكذب. لسان العرب: (مادة مين).

(٢) الفتوحات (يبلى).

(٣) الفتوحات (التشغيب).

(٤) الفتوحات (من قبل).

(٥) الفتوحات (وجد).

(٦) (دقيق) زيادة من الفتوحات.

الفصل الثاني:

في معرفة الحامل المحمول^(١) اللازم بلسان المشرقي

قال المشرقي: تكوين الشيء من الشيء مثل، وتكوينه لا من شيء اقتدار الأزل، من لم يمتنع عنك فقدرتك نافذة فيه^(٢) ولم تزل.

ثم قال: إيجاد احكام في محكم يثبت بحكمه^(٣) وجود علم المحكم، ثم قال: والحياة والإرادة في العالم شرط لازم ووصف قائم.

ثم قال: الشيء إذا قبل التقدم والمناص^(٤)، فلا بدّ من مخصص لوقوع^(٥) الاختصاص، وهو عين الإرادة، في حكم العقل والعادة. ثم قال: ولو أراد المرید بما لم يكن [١١٨ظ]، لكان ما لم يكن مراداً^(٦) بما لم يكن.

ثم قال: من المحال أن توجب المعاني أحكامها، إلا لمن قامت به^(٧)، فانتبه.

ثم قال من تحدث في نفسه^(٨) بما مضى، فذلك الحديث ليس بإرادة، وبه حكم الدليل على الكلام وقضى.

ثم قال: القديم لا يقبل الطاريء، فلا تمار، ولو أحدث في نفسه ما ليس منها، لكان

(١) معرفة الحامل زيادة من الفتوحات.

(٢) في الأصل (فقدرته نافذة فيك) والتصحيح من الفتوحات.

(٣) يثبت بحكمه زيادة من الفتوحات.

(٤) في الأصل (والتأخر) والتصحيح من الفتوحات، وقد أثبتناه لموافقته السجع.

(٥) مخصص لوقوع زيادة من الفتوحات.

(٦) في الأصل (مرداً).

(٧) في الفتوحات (في غير من قامت به).

(٨) (في نفسه) زيادة من الفتوحات.

بعدم تلك الصفة ناقصاً عنها، ومن ثبت له الكمال بالعقل والنص، فلا يُنسب إلى النقص.

ثم قال: لو لم يصرك ويسمّك، لجهل كثيراً منك، ونسبة الجهل إليه محال، ولا سبيل إلى نفي هاتين الصفتين بحال، ومن ارتكب القول بنفيهما، ارتكب مخوفاً لما يؤدي إلى كونه مؤوفاً^(١) ثم قال: من ضرورة الحكم أن يوجبه معنى، كما من ضرورة المعنى الذي لا يقوم بنفسه استدعاء^(٢) معنى. فيا أيها المجادل كم ذا تتعنى؟ ما ذاك إلاّ لخوفك من العدد، وهذا لا يبطل حقيقة الواحد والأحد، ولو علمت أن العدد^(٣) هو الأحد لما شرعت في منازعة أحد، فهذا قد ثبت عن الحامل المحمول العارض^(٤) واللازم في مقاسم هذه المعالم، ثم قعد.

(١) نسبة الجهل إليه..... إلى كونه مؤوفاً زيادة من الفتوحات.

(٢) الذي لا يقوم بنفسه استدعاء زيادة من الفتوحات.

(٣) وهذا لا... إن العدد زيادة من الفتوحات.

(٤) (المحمول العارض و) زيادة من الفتوحات.

الفصل الثالث:

في معرفة الإبداع والتركيب باللسان الشامي

قال: إذا تماثلت المحدثات، وكان تعلق القدرة بها لمجرد الذات، فبأي دليل يخرج عنها بعض الممكنات.

ثم قال: لما كانت الإرادة تتعلق بمرادها حقيقة، ولم تكن القدرة الحادثة مثلها لاختلال في الطريقة، فذلك هو الكسب، فكسب للعبد وقدرة للرب، وتبيين ذلك بالحركة الاختيارية والرعدة الاضطرارية.

ثم قال: القدرة من شروطها الإيجاد إذا ساعدها العلم والإرادة، فإياك والعادة! كل ما أدى إلى نقص الألوهية، فهو مردود، ومن جعل في الوجود في الحادثات ما ليس بمراد الله، فهو من المعرفة مطرود [١١٩ظ] وباب التوحيد بوجهه مسدود، وقد يريد^(١) الأمر ولا يراد المأمور به، وهو الصحيح، وهذا غاية التصريح.

ثم قال: مَنْ أوجب على الله أمراً، فقد أوجب عليه حد الواجب، وذلك على الله محال في صحيح المذاهب. ومن قال بالوجوب لسبق العلم، فقد خرج عن الحكم المعروف عند العلماء في الواجب، وهو صحيح الحكم.

ثم قال: تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، وقد عاينا ذلك شهادة^(٢) ونقلًا.

ثم قال: من لم يخرج شيء على الحقيقة من ملكه، فلا يتصف بالجور والظلم فما يجريه من حكمه في ملكه.

(١) في الفتوحات (يراد).

(٢) في الفتوحات (مشاهدة).

ثم قال: من هو مختار فلا يجب عليه رعاية الأصلح، وقد ثبت ذلك وصحَّ التقبيح والتحسين بالشرع والغرض.

ومن قال: إن الحسن والقبح لذاتهما فهو صاحب جهل عرضي^(١).

ثم قال: إذا كان وجوب معرفة الله تعالى وغير ذلك، من شرطه ارتباط الضرر بتركه في المستقبل^(٢)، فلا يصح الوجوب بالعقل؛ لأنه يعقل. ثم قال: إذا كان العقل يستقل بنفسه في أمر، وفي أمر لا يستقل، فلا بد له من موصل إليه مستقل، فلم تستحل بعثة الرسل، وأنهم أعلم الخلق بالغايات والسبل. ثم قال: لو جاز أن يجيء الكاذب بما جاء به الصادق، لانقلبت الحقائق، ولتبدلت القدرة بالعجز، ولاستند الكذب إلى حضرة العز، وهذا كله محال، وغاية الضلال، بما يثبت الواحد، يثبت الثاني، في جميع الوجوه^(٣) والمعاني.

(١) في الفتوحات (عرض).

(٢) (في المستقبل) حاشية.

(٣) في الأصل (الوجود) والتصحيح من الفتوحات.

الفصل الرابع:

في معرفة التلخيص والترتيب باللسان اليمني

ثم قال اليمني: مَنْ أفسد شيئاً بعدما أنشأه، فجائز [١١٩ظ] أن يعيده كما بدأه. ثم قال: إذا قامت الصفة^(١) الروحانية بجزء ما من الإنسان، فقد صحَّ عليه اسم الحيوان، النائم يرى ما لا يرى اليقظان^(٢)، وهو إلى جانبه لاختلاف مذاهبه، مَنْ قامت به الحياة، حاز^(٣) اللذة والألم، فما لك لا تلتزم؟ ثم قال: البذل من الشيء يقوم مقامه، ويوجب أحكامه. ثم قال: مَنْ قدر على إمساك الطير في الهواء - وهي أجسام - قدر على جميع الأجرام.

ثم قال: قد كملت النشأة، واجتمعت أطراف الدائرة قبل حلول الدائرة^(٤). ثم قال: إقامة الدين هو المطلوب ولا يصح إلا بالإمام^(٥)، فاتخاذ الإمام واجب في كل زمان. ثم قال: إذا كملت الشرائط، صحَّ العقد، ولزم العالم الوفاء بالعهد، وهي: الذكورية، والبلوغ، والعقل، والعلم، والورع، والحرية، والنجدة، والكفاية^(٦)، والنسب، وسلامة جانب^(٧) السمع والبصر، وبهذا قال بعض أهل العلم^(٨) والنظر. ثم قال: إذا تعارض إمامان، فالعقد للأكثر اتباعه، وإذا تعذر خلع إمام ناقص لتحقيق وقوع فساد شامل، فإبقاء العقد واجب، ولا يجوز إرداعه، قال

(١) في الفتوحات (اللطيفة).

(٢) في الأصل (المستيقظ) والتصحيح من الفتوحات وقد أثبتناه لموافقة السجع.

(٣) في الفتوحات: (جازت عليه اللذة).

(٤) قبل حلول الدائرة) زيادة من الفتوحات.

(٥) في الأصل (الامامان) وفي الفتوحات (الامان).

(٦) في الأصل (الكفالة) والتصحيح من الفتوحات.

(٧) في الفتوحات (حاسة).

(٨) الجملة في الأصل (وبهذا وزوال أهل النظر) والتصحيح والزيادة من الفتوحات.

الشاهد^(١) فوفى كل واحد من الأربعة ما اشترط، وانتظم الوجود وارتبط^(٢). واللّه الموفق لما يريد ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد، الشافع في الأمة ونبي الرحمة، وسلم تسليماً^(٣).

(١) في الفتوحات (قال الشاذلي).

(٢) نهاية نص الفتوحات.

(٣) دَوْن الناسخ في خاتمة الرسالة ما نصه: (تمت الرسالة، ببركة صاحب الرسالة، على يد الفقير إلى لطف ربه القدير، الحقيق (محمد بن علي بن عبد الملك) الحنفي مذهباً، الأنصاري نسباً، في أواخر شهر جمادى الآخر [كذا] من شهور سنة تسع وتسعين وتسعمائة، قوبل وصحح).

كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

قال الشيخ الإمام المحقق المتبحر محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي رضي الله عنه، هذا كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام سألنا في تقييده بعض من يكرم علينا من الإخوان فامثلنا مرسومة على وفق ما تمنى ولم تعد فيه غرضه والله ولي التوفيق لا رب غيره قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩] وقال رسول الله ﷺ للسوداء: أين الله وكانت خرساء فأشارت إلى السماء فقال ﷺ لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة.

باب في الرؤية

قال الصديق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، وقال الفاروق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه، وروي عن عثمان رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله عنده، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً حين رأيت، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً، ومنهم من قال: من رآه لم ير شيئاً، ومنهم من قال: لا يرى إلا في شيء، ومنهم من قال: أغلقت عيني ثم فتحتها فما رأيت إلا الله ومنهم من قال: من رأى نفسه فقد رآه فإن الرؤية تتبع ومن عرف نفسه عرف ربه، ومنهم من قال: لا تثبت الرؤية إلا بنفيا فمن لم يره فقد رآه، ومنهم من قال منذ رأته لم أر غيره، ومنهم من قال: لا يراه إلا من عرفه على ما عرفه.

باب في السماع

قال تعالى: ﴿فَلَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] قال بعضهم ومن سمعه سمع كل

شيء؛ ومنهم من قال: لا يسمع كلامه إلا من كان له سمع بلا آلة، ومنهم من قال: من سمعه في شيء ولم يسمعه في شيء فما سمعه، ومنهم من قال: لا يسمع أحد ابتداء حتى يناديه من سره؛ ومنهم من قال: من سمعه لم يتميز عنده القرآن، ومنهم من قال: من ادعى أنه سمعه فاطلبوه بالفهم عنه فإنه لا يسمع إلا بالفهم، ومنهم من قال: أنه سمعه يقرأ الكتب المنزلة والصحف وكل كلام ظهر من العالم بلسان واحد، ومنهم من قال: كن أنت المخاطب إذا قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: ١]، ومنهم من قال: منذ سمعته لم أجهل لغة ولا اعتاص علي معنى، ومنهم من قال: إذا صحت النيابة في الكلام صحت النيابة في السماع وقد صحت النيابة في الكلام فأجره حتى يسمع كلام الله فسمعت الأذان عبارات محمد ﷺ وسمع السمع كلام الحق جل وعلا، ومنهم من قال: العبارات والدلالات للتوصل والكلام وراء ذلك والسمع يتبع الكلام فالسمع وراء ذلك كله، ومنهم من قال: دليل من سمع حزنه على حكم ما سمع.

باب في الكلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] قال بعضهم لا تسمعه إلا منك، ومنهم من قال: لا يكلمك إلا منك، ومنهم من قال: من كلمه فيه فقد كلمه، ومنهم من قال: لو كلمه منه ما ناداه، ومنهم من قال: لا يكفيك إلا من بطنت حياته، ومنهم من قال: ما ثم متكلم إلا هو فمن سمعه عرف ما قلت، ومنهم من قال: من لم يسمعه لم يعرف كلامه، ومنهم من قال: إذا كلمك من ظهرت حياته وسمعته فأنت أقرب الأقربين وإذا لم تسمعه فيه فأنت أبعد الأبعدين وإذا كلمك من بطنت حياته وسمعته فأنت القريب وإذا لم تسمعه فأنت البعيد ومن قال: من كلمه من الجانب فهو ذاهب، ومنهم من قال: من لم يسمع بكلامه ولم يتكلم بسمعه فما كلمه الحق ولا سمعه، ومنهم من قال: من صار لساناً كله فذلك كلام الحق ومن صار سمعاً كله فذلك سمع الحق كله، ومنهم من قال: من فرق بين العبارة والكلام فما كلمه الحق، ومنهم من قال الكلام كلام فمن لا أثر عنده فما صح له كلام.

باب في التوحيد

قال بعضهم: لا لسان له إذ لا مخاطب، ومنهم من قال: لا لسان يتميز بل الألسنة كلها لسانه فخطابه يتردد إليه منه وهكذا نظره وسمعه وعلمه، ومنهم من قال: القدرة والإرادة تنافي التوحيد فإن التوحيد لا غير وهو غير مقدور ولا مراد فبطل توحيد الوجود لأن توحيد الفعل ثابت، ومنهم من قال: التوحيد إذا كان له مثبت فهو شرك وإذا لم يكن له مثبت فليس

بمقام، ومنهم من قال: من وحده به فما وحده ومن وحده بنفسه فإنما وحده نفسه؛ ومنهم من قال: التوحيد أنا والمتكلم الحق؛ ومنهم من قال: التوحيد نفي التوحيد والتشريك فيبقى هو كما ينبغي له؛ ومنهم من قال: إن جعلت العالم واحد أصح لك التوحيد وإن جعلته متعدداً لم يصح التوحيد؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين الواحد وحكم الأحدية مع قضاء المثبت بإثبات الواحد نفسه بحكم أحدية نفسه؛ ومنهم من قال: التوحيد أن تغيب فيه أو يغيب فيك؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات الأحكام ونفي المعاني عن الذات؛ ومنهم من قال: التوحيد عين لا علم فمن رآه عرف التوحيد ومن علمه فلا توحيد له، ومنهم من قال: التوحيد إثبات واحد بلا أول؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين بلا وصف ولا نعت؛ ومنهم من قال: وصف ولا نعت؛ ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين بلا وصف ولا نعت؛ ومنهم من قال: التوحيد معرفة الأسماء؛ ومنهم من قال: التوحيد نفي الفعل؛ ومنهم من قال: لا يعرف التوحيد إلا من كان واحداً؛ ومنهم من قال: التوحيد لا تصح العبارة عنه لأنه لا يعين إلا للغير ومن أثبت غيراً فلا توحيد له؛ ومنهم من قال: التوحيد سريانه في نفسه بحكم ما هو عليه.

باب المعرفة

قال بعضهم: المعرفة ربانية؛ ومنهم من قال: المعرفة إلهية؛ ومنهم من قال: المعرفة قدسية؛ ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وما هو عليه، ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وتعجز عما هو عليه، ومنهم من قال: المعرفة أن تعجز عن معرفتك بك؛ ومنهم من قال: المعرفة رؤية المعروف من المعروف؛ ومنهم من قال: المعرفة جمعية بينك وبينه؛ ومنهم من قال: المعرفة علم الحد الذي بينك وبينه فتكون أنت أنت وهو هو؛ ومنهم من قال: المعرفة أن تلحظ ما سواه منه به ثم تفنيه فيه فيبقى هو وأنت مدرج؛ ومنهم من قال: المعرفة على الحكم؛ ومنهم من قال: المعرفة من روائح التوحيد يعرفها أصحاب الأنفاس، ومنهم من قال: المعرفة الاستشراق على الكل بعينه؛ ومنهم من قال: المعرفة لمن استوى على العرش؛ ومنهم من قال: من كان عرشاً له صحت له المعرفة وقيل: فيه عارف؛ ومنهم من قال: المعرفة خطاب مخصوص من الحق لعبده يسمى به عارفاً؛ ومنهم من قال: المعرفة ما تواطأ عليه الحق والعبد واستعمل في العالم؛ ومنهم من قال: السؤال عن المعرفة جهل فإن المعرفة مثبتة في العالم فما ثم إلا عارف على قدره، أين الله قالت في السماء، وكان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وكلاهما عارف؛ ومنهم من قال: المعرفة سر التكوين؛ ومنهم من قال: من أعطى كن فقد أعطى المعرفة، قلت لبعضهم: سمعت عن شيخ أنه قال: الزاهد من أعطى كن فزهد فيه فقال:

كذا زعم والزعيم باطل؛ ومنهم من قال: المعرفة شطح؛ ومنهم من قال: المعرفة إلحاق
السوء بالحسن مع ثبوت الحكم.

باب الحب

قال بعضهم: الحب لا يصح، ومنهم من قال: ما تم إلا حب، ومنهم من قال الحب
نعت لا صفة، ومنهم من قال: الحب سر إلهي يعطى في كل ذات على حسب ما يليق بها،
ومنهم من قال كيف تنكر الحب وما في الوجود إلا هو ولولا الحب ما ظهر فمن الحب ما
ظهر وبالحب ظهر والحب سار فيه والحب ينقله، ومنهم من قال: لا يصح نكران الحب
فبالحب حرك المحرك وبالحب تحرك المتحرك وسكن الساكن وبالحب تكلم المتكلم
وصمت الصامت، ومنهم من قال: الحب سلطان يتبعه كل شيء.

باب في إشاراتهم في أنواع شتى

منها المتشابه، قال بعضهم من نظر نظر، وقال بعضهم: ما صام صام، وقال بعضهم:
من صلى صلى، وقال بعضهم: من قام قام، وقال بعضهم: من اعتبر عبر، وقال بعضهم:
من زكى زكى، وقال بعضهم من آمن آمن، وقال بعضهم: من أسلم أسلم؛ وقال بعضهم من
أحرم أحرم، ومن غير المزدوج والمزدوج، قال بعضهم: دعيت فلم أجب فسكرت، وقال
بعضهم: رأيت فعميت، وقال بعضهم: كما كان ولم أكن فيكن الآن وليس هو، وقال
بعضهم: الوجود في الآن، وقال بعضهم: من كنته فإنه يكونك، وقال بعضهم العرش ظل
الله والإنسان العرش، وقال بعضهم: وقد قيل قد أذن بالصلاة فقال: إنما جعل النداء
للغافلين، مذ دخلت إليه لم أخرج، وقال بعضهم الصلاة مناجاة لا رؤية ولهذا شرعت
بالحركات، وقال بعضهم: الجنابة جنابة، وقال بعضهم: من تكلم تكلم، وقال بعضهم:
التقوى زاد والزاد للمسافر لا للمقيم، من لا سفر له لا زاد له، وقال بعضهم: الحج عرفة،
والراحة المبيت في المزدلفة والحثي في منى، وقال بعضهم: من أعطانا شيئاً فعليه الكون لنا
لا له، هو له ما نحن له، وقال بعضهم أشهدني فلم أره باسطني فلم أعرفه، قال بعضهم
ليس لي أمر فأفوضه إليه، وقال آخر حين سمع قارئاً يقرأ ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾
﴿٨٥﴾ [مريم: ٨٥] كيف يحشر إليه من هو جليسه، وقرأ بعضهم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَهَاتِكُمْ﴾ وقرأ بعض الناس: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٩] وقرأ بعضهم: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَقَّ
يَأْنِكَ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال آخر: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: ١٢١] إذ كان عصى غيره ما كانت،
وقال بعضهم:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وقال بعضهم: ما لي إلى الله حجة والحمد لله، وقال بعضهم: إنما يتوكل عليه من يرى غيره، وقال بعضهم: عجبت لمن عرف الله كيف أطاعه، وقال بعضهم: لا تغتروا بدخول إبليس النار فإنه تعالى يقول: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ [ص: ٨٥]، وقال بعضهم: رجال الله كالسراب، وقال بعضهم: الشرع أمانة والحقيقة أمن، وقال بعضهم: لا يصام إلا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقال بعضهم: الرحمن على العرش وقف، والابتداء استوى له ما في السموات، وقال بعضهم: ما أنا بليلة مباركة يفرق في كل أمر حكيم، وقال بعضهم: رسل الله الله، وقال بعضهم: المطيع يسيء الظن بربه، والعاصي يحسن الظن بربه، وقال بعضهم: الطاعة تجر إلى النور والمعصية تجر إلى النار والنور أشد إحراقاً، وقال بعضهم: الأخلاق ربانية والآداب شرعية، وقال بعضهم: العلائق حقائق فمن غاب عنها سمي في قطعها، وقال بعضهم: على قدر ما يقطع العبد من العلائق يفوته من الحقائق، وقال بعضهم: المحجوب من اتسعت معارفه والعالي من قلت معارفه، وقال بعضهم: هجران الخلائق من سوء الخلائق، وقال بعضهم ليس فوق الصلاح مرتبة وهي مطلب رسل الله وهم أعلم بالخلائق بالله، وقال بعضهم العلم للخلق والحقيقة للحق، وقال بعضهم الأحكام لا تبطل الحكمة والحقيقة لا ترفع الاسم والرسم وقال بعضهم: الإمام لا يلتفت، وقال بعضهم: المريض أكله دواء، وقال بعضهم الحرج كلامه التجاء، وقال بعضهم: الصفا بلا كدر وهو الصفا، وقال بعضهم ليس التكحل في العينين كالكحل، وقال بعضهم الكحل يحتاج إلى العين لأنه يحب الثناء، وقال بعضهم العيون تحتاج إلى الكحل لأنها تحب الزينة، وقال بعضهم: من لم تكن له جهة كان وجهاً كلياً وقال بعضهم: (العلم) العلم الإرادي وقال بعضهم: قلة الغذاء غداء، وقال بعضهم من هرب من الخلق إلى الله ما عرف الله وقال بعضهم السكون من الله تهمة، وقال بعضهم الحركة مع الله رحلة، وقال بعضهم: الرجل من يقابل الألوهية بالعبودية، وقرأ بعضهم: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في، وقال بعضهم: لا يكون رباً حقيقة من لم يكن عبداً، وقال بعضهم: تجريد التوحيد شرك لأنه ممن تجردت، وقال بعضهم إخلاص المعاملة للواحد لا تصح، وقال بعضهم ترك الحلال محال لأنه لا بد منه، وقال بعضهم ادعى الهوى الألوهية ومن غالبه فقد أثبت له ما ادعاه، وقال بعضهم: منازعة الطباع جهل الحكيم من استعمل طبعه، وقال بعضهم: من استعمل طبعه وصلّى إلى الله مستريحاً، وقال بعضهم: بنى الشرع على ضد الطبع وأنا أسمع فقلت: بنى الشرع على الطبع ولهذا قبله، وقال بعضهم: من تباعد من الشهوات جهل سرها ومن تبعها يحتاج إلى ميزان، وقال بعضهم الحلف قعوده رصد وقال بعضهم: ليل الغريم فكره ونهاره ذله، وقال بعضهم: المظلوم حي قيوم وقال بعضهم: المحزون در مكنون، سر مصون لا يعرفه إلا

مثله، وقال بعضهم: الكلام هو، والمنزل عند؛ والجملة على، والطينة مع، والرؤية إلى، والفرح ب، والسماع من، والمعرفة ل، وقال بعضهم: الحرية عبودية كاملة، وقال بعضهم: العقل سراج إلى زيت الشجرة، المباركة، وقال بعضهم: من ارتحل لم ينتقل، وقال بعضهم: سقط القصر في الصلاة عن العارفين إذا سافروا؛ وقال بعضهم: سفر الأجسام بضع شطر الصلاة وسفر الأرواح يضع الصلاة لأن الخطاب سفلى، وقال بعضهم السرور في البلبليس، وقال بعضهم: التلذذ بالكلام حجاب وليس بصاحب كلام، وقال بعضهم: من اشتغل بربه لم يعرفه، وقال بعضهم: الصمت ضالة، وقال بعضهم: النعمة حياة، وقال بعضهم: الإفلاس بضاعة الرجال، وقال بعضهم: الفتوة ترك الحول والقوة، وقال بعضهم: ولي الله لا، وقال بعضهم: الدواء داء، والنظرة إلى المحبوب دواء العيل وهي تسقم القلوب، وقال بعضهم: من سافر احتاج إلى الزاد، قلت له: ومن أقام احتاج إلى القوت فأين يهرب، وقال بعضهم: الإنسان ساعته وساعته نفسه، وقال: من فصل بين الأخلاق النسبية والدنية اتسع بحره فغرق، وقال بعضهم: ما ثم إلا رفعة مطلقة ما ثم تواضع أصلاً لأن الكل إليه يصبر ومن صار إليه فهو في رفعة، وقال بعضهم: ما في الوجود مقابل أصلاً، غني بلا فقر، من قتل نفسه لشيء فهو لما قتلها، وقال بعضهم: غرائب الأمر عند الغرباء، وقال بعضهم: التقلل من الدنيا علة والتكثير منها علة، وقال بعضهم: الاعتماد على الله يقوي ألوهية الأسباب، وقال بعضهم: الرغبة في الطاعات حرص، وقال بعضهم: الصبر مقاومة وهو سوء أدب في حق الكامل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَتَىٰ مَسْنَىٰ الضُّرِّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فتميز اليد عند الأخذ شرك محض في الملك وقال بعضهم الذكر الخفي حين إلا في موطنه بأهله، وقال بعضهم: تحقيق الإخلاص تقوية إبليس، وقال بعضهم: الرجل من جعل نفسه سفينة نوح، وقال بعضهم: الرجل من كان الروح أباه، وقال بعضهم: الرجل ذو نفس واحدة، وقال بعضهم: الرجل من كانت له رجلان ولم يسع بهما، وقال بعضهم: ليس الرجل من يخترق الهوى وإنما الرجل من سكن وقرىء على بعضهم في حمام ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] فقال: وما له ما تحرك فقلت له: هذه إشارة لا حقيقة فإن الحركة للدعوى والسكون ما فيه دعوى وأعرف الموطن حقيقتها ما سكن أي ما ثبت فدخلت الحركة والسكون، وقال بعضهم الرجل من لا ينتظر وقال بعضهم الرجل من لا يعرف ما سوى الله، وقال بعضهم: الرجل من نفذ في كل شيء، وقال بعضهم: الرجل من اعتدل فعامل الأوقات بحسب ما جاءت به وعامل الموطن بحسب ما يقتضيه، وقال بعضهم: الرجل من إذا نطق سمعه كل شيء ما سوى الثقليين، وقال بعضهم: الرجل من إذا سجد سجدة لله لم يرفع رأسه أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقال بعضهم: الرجل من أعطى النيابة،

وقال بعضهم: الرجل من يعرف جميع الألسنة ولا يعرف له لسان فيقيد به، وقال بعضهم: الرجل من أعطى ما أعطيت الرسل وثبت على أتباعهم ولم يتزلزل، وقال بعضهم: الرجل معتكف في الحضرة ويسره، وقال بعضهم: الرجل من لا يؤثر فيه فقدان العوائد، وقال بعضهم: الرجل من استحق أن يأخذ كل شيء ويضيف إلى نفسه كل شيء، وقال بعضهم: الرجل من قال: الله فاعدم كل شيء، فقال له: من كان حاضراً الرجل من قال: الله فأوجد كل شيء، وقال بعضهم: الفتى من تفتى على الحق، وقال بعضهم: الرجل من نزع القدر، فقلت له بعد الاطلاع، فسكت، وقال بعضهم: الرجل من عرف قيمة كل موجود عند الله فوفاه قسطه، وقال بعضهم: الرجل من لا يغتاب بحضور كل شيء، وقال بعضهم: المشيئة عرش أعلى لا عرض فوقه، وقال بعضهم: ما في الوجود مختار، وقال بعضهم: خلع النعلين حكم لا حقيقة، وقال بعضهم: إثبات العلل زلل، وقال بعضهم: القبضتان ميزان، وقال بعضهم: الإنسان هو المقصود من الوجود، وقال بعضهم: الإمداد واحد، وقال بعضهم: النفخة واحدة، وقال بعضهم: ما ثم محجوب، وقال بعضهم: لأهل النار حجاب، ولأهل الجنة حجاب، وقال بعضهم: كل مركب محجوب، وقال بعضهم: الراجل أشرف من الفارس لأن الفارس صاحب مركب وكل صاحب مركب محجوب لأنه محمول، وقال بعضهم: الفوت غنيمة، وقال بعضهم: الرجل سماء ظليلة؛ وأرض ذليلة، وقال بعضهم: الرجل شمس، وقال بعضهم: الرجل بدر، وقال بعضهم: الرجل من ظهر عليه ما عبد له ولو كان جماداً، وقال بعضهم: الأرض مقام في البلاء، وقال بعضهم: الرجل عاطش أبداً، وقال بعضهم: الرجل من ينفق، وقال بعضهم: الرجل من ينفق عليه.

قال جامع هذه الإشارات ما قيدت منها إلا ما سمعته من قائله إلا ما ذكرت اسمه والحمد لله وجملتها مائتان وبضعة وستون كلمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم يتلوه كتاب الميم والواو والنون إن شاء الله تعالى.

كتاب الميم والواو والنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الحول والقوة

الحمد لله فاتح الغيوب وشارح الصدور، وعاطف الأعجاز بفنون الإعجاز على الصدور، وواهب العقول أنواع المعارف عند الورود ومحليه بها عند الصدور، مخصص أهل المعروف، بخصائص الأسماء وخواص الحروف، جاعل الحروف أمة من الأمم، مودعها ما تغطيه ذواتها من الحكم، عند تركيبها وانفرادها مع الهمم، كق و ش و غ، فهذه حروف مفردة وهي من جملة ما تفيد من الكلم، وضعها على ضروب شتى من الوضع بحكم ما تعطيه حقيقة الطبع مراتب في المعارج الروحانية، ومراتب في المخارج الظلمانية، ومراتب في المدارج الرقمية، وذلك بتقدير العزيز العليم.

ومن أسناها وجوداً وأعظمها شهوداً: «الميم والواو والنون» المعطوفة أعجازها على صدورهما لوسائط حروف العلل المؤيدة بسلطان: «كن» ليكون ما لا بد أن يكون وهي الألف في قولك: «واو» اللازمة حضرة الجود المنزل بالقدر المعلوم، وإن كان غير مخزون والواو المضموم ما قبلها في قولك: «نون» وهي دليل العلل الروحانية لقوم ينظرون، والياء المكسور ما قبلها في قولك: «ميم» وهي دليل العلل الجسمانية لقوم يتفكرون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً ما فصل القلم وأجمله النون.

أما بعد فهذا منزل شريف يعطيك من المعارف الإلهية الوجودية ما يناسب في المشاهد الميم والواو والنون الذي آخرها أولها فلا أول ولا آخر، فاعلموا وفقكم الله إن الحروف سر من أسرار الله تعالى والعلم بها من أشرف العلوم المخزونة عند الله، وهو من العلم المكنون المخصوص به أهل القلوب الطاهرة من الأنبياء والأولياء وهو الذي يقول فيه الحكيم الترمذي: «علم الأولياء»، ولنا فيه موضوعات منها باب في الفتح المكي وسيط.

ومنها باب بسيط في الفتح الفاسي، وسميناه المبادي والغايات بما تتضمنه حروف

المعجم من العجائب والآيات .

ومنها كتاب بسيط أيضاً تكلمنا فيه على الحروف المجهولة التي في أوائل سور القرآن وهي بضع وسبعون حرفاً بالتكرار وأربعة عشر حرفاً من غير تكرار في تسعة وعشرين سورة لما فسرنا القرآن على هذه الطريقة الإلهية .

ومنها كتب وجيزة مثل هذا وغيره، ولتعلموا أن العلم بالحروف مقدم على العلم بالأسماء تقدم المفرد على المركب ولا يعرف ما ينتجه المركب إلا بعد معرفة نتيجة المفردات التي تركبت عنه .

ولأصحابنا في هذه المسألة خلاف في الظاهر وليس بخلاف أصلاً، إلا لأن الواحد شاهد مشاهد لم يشهدا الآخر وشاركه في مشاهدته فهذا أعم وهذا أخص .

فلو وقف المخالف القائل بالنفي عندما شاهده ولم يتعد أنصف، وإنما جعله في ذلك ربط الحضرة الإلهية في الإيجاد بعالم التركيب من الحروف وهي كلمة «كن» فجاء بالحرفين لم يأت بحرف واحد وهذا هو والله أعلم الذي أوقعهم في ذلك .

وليعلموا أن الواحد المفرد له في ذاته خاصية وأن المفردات إذا تركبت أعطى التركيب خاصية لا توجد في كل مفرد بعينه وهي أيضاً خاصية لمفرد، وما شعر بها أصحابنا فإنها خاصية التركيب وهو معنى مفرد .

وكذلك جميع النتائج لا تكون إلا عن الفردية، ألا ترى إلى المقدمتين عند المنطق مركبة من ثلاثة يتكرر الواحد من المقدمتين فتظهر أربعة وهي ثلاثة، ولولا هذا الواحد الذي أعطى الفردية لهذين الاثنين ما صح نتاج أصلاً .

وكذلك الذكر والأنثى لا يتجان أصلاً ما لم تقم بينهما حركة الجماع وهي الفردية .

ولهذا يقول أصحاب العدد: أول الأفراد ثلاثة فبالأحادية ظهرت الأشياء لأنها ظهرت عن الله تعالى الواحد من جميع الوجوه وعند ظهور الموحد صدر بثلاث اعتبارات وهي أصل النتائج كلها، وهو كون الذات وكون القادر وكون التوجه، فبهذه الثلاثة الوجوه ظهرت الأعيان، فتأمل هذه الإشارات تنفك إن شاء الله تعالى، ولنرجع إلى ما كنا بسبيله .

فنقول: للحروف ثلاث مراتب من وجه ما، وهي الحروف الفكرية، والحروف اللفظية، والحروف الرقمية .

والحروف الرقمية في الوضع على رتبتين، وضع المفرد وهي حروف - ا ب ت ث -

والوضع المزدوج وهي حروف «أبي جاد» فالوضع المفرد منه الحرف المركب وهي - لام ألف - فبقي ثمانية وعشرون حرفاً على عدد المنازل، وعندنا الألف ليست من الحروف.

وعند جابر بن حيان أن الألف نصف حرف والهمزة النصف الآخر فالألف والهمزة حرف، وقد بينا هذا كثيراً في غير هذا الموضع.

وهذه الحروف لها وجوه كثيرة تكاد لا تحصى ولكل وجه خصوص أمر لا يكون إلا له بما هو ذلك الوجه.

ثم إن الحروف وإن كانت مفردة في الخط بالاصطلاح العربي وبعض ما وقفنا عليه من الأقلام فهي مركبة بعضها من بعض كالياء في بعض خاصيتها من كونها ياء خاصية الذال ولذلك كانت بنقطتين لكل ذال نقطة، وكذلك اللام مركبة من ألف ونون والنون مركبة من زاي وراء ففي اللام قوة الألف والنون زيادة على خاصيته وفي النون قوة الزاي والراء كذلك.

وهكذا أيضاً في المخارج فإن الهواء انبعث من الصدر إلى خارج الفم فيتقطع في المخارج فتبدو الحروف متميزة الذوات في حاسة السمع، فالأول حرف الصدر الآخر حرف الشفة فحرف الصدر لا يعطي سوء نفسه خاصة وهو أصل وما عداه إلى حرف الشفة الذي الواو آخرها في مقابله، ففي الواو وخواص الحروف كلها وقواها لأنه لا يظهر عينه عند انقطاع الهواء في مخرجه حتى يمشي ذلك الهواء على جميع المخارج كلها فحصل فيه من قوة كل حرف، ثم تأخذ ما سكتنا عنه من الحروف على هذا النحو.

وكل حرف من الحروف الرقمية يصح أن يكون أولاً وآخرأً ووسطاً وتتنوع خواصه بتنوع هذه المراتب.

وهذه طريقة الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه وغيره، كان يقول بصور الحيوانات والأشكال وتضع الحروف عليها ونحن لا نقول بصور الحيوانات ولكن نقول بالأشكال، وما أظن والله أعلم إلا أنه مكذوب عليه في ذلك من حيث أنه صورها أو أمر بها.

وأما إن كان نبه عليها فصورها التلميذ عن غير معرفة منه فهذا هو الذي يليق بمقامه ورتبته فإنه أجل من أن يجري عليه لسان ذنب فإني وإن كنت من بعض حسناته فإني لا أقول بهذا فأحرى مثل ذلك السيد المجتبي حساً وعلماً.

وكذلك أيضاً وإن كانت للحروف خواص فبعضها أكثر خاصية من بعض فليست تشبه الحروف الرقمية العربية التي لها الاتصال البعدي وليس لها الاتصال القبلي مثل الدال والذال والراء والزاي والواو والألف وغيرها من الحروف ممن لها الاتصالات ولا يشبه الحرف

المشاكل الفلك ك رأس الميم والواو والحرف المشبه لما ظهر به من الفلك كالتون الخاصة
فلكل صنف من الحروف ومرتبة فضائل وأمور تختص بها والحرف يشبه الحرف من وجوه
كثيرة فتارة يشبهه من جهة الصورة كالياء والباء إذا عريا عن دليلهما وهو النقط وتارة يشبهه
من جهة إعداد بسائطه كالعين والغين والسين والشين وكالألف والزاي واللام وكالتون والصاد
والضاد وما بقي من حروف يشبه بعضها بعضاً في هذه الحقيقة مثل هؤلاء فإذا أخذوا من
هذه الحروف ينوب كل واحد عن صاحبه في العمل فينوب السين مناب الشين والعين مناب
الغين وكذلك كل واحد منهم وإنما نبهنا عليه لأن قد يكون الحرف يعطي في العمل معنى
وتفسيراً فتتغير إلى شبيهه في البسائط ممن يعطى ضده فتجعله بدله فينجح العمل كالهاء مثلاً
والواو فإن بسائطهما واحدة بالعدد وأفلاكهما كذلك فيكون في الشكل حرف الواو وهو بارد
والبرد يعطي البطء في الأشياء، وأنت تحب السرعة فيها فتأخذ الهاء بدله الذي هو حرف
حار أو الطاء أو الميم أو الفاء أو الذال.

ومن مراتب أسرار الحروف أيضاً أن يكون آخر الحرف كأوله في بعض الألسنة كالميم
والواو والتون في اللسان العربي وهو لساننا وهو من مراتب المخارج لا من مراتب القوم
فكلما على أسراراه كطريقة ابن مسرة الجيلي وغيره لا على خواصه فإن الكلام على خواص
الأشياء يؤدي إلى تهمة صاحبه وإلى تكذيبه في أكثر الأوقات.

أما تهمة في دينه فهو أن يكون من أهل الكشف والوجود فيلحق بأهل السحر والزندقة
وربما يكفر فهو يتكلم على الأسرار التي أودعها الله في موجوداته وجعلها أمناً عليها والناس
ينسبونه إلى أن يقول بنسبة الأفعال إليها فيكفرونه بذلك فيأثمون عند الله حيث لم يوفوا من
النظر في حقنا ما يجب عليهم ولا فحصوا عن ذلك فهذا وجه تكفيرهم.

وأما وجه تكذيبهم فإن المجربين لهذا الأشياء ينبغي أن يكونوا عارفين بصور التركيب
وأوقاته وأقلامه وغير ذلك فمتى نقصهم دقيقة من ذلك بطل العمل المقصود للعامل فيقول أنه
أخطأ فإني جربت ما قال وما وجدت له أثراً، فالسكوت عن العلوم العملية بأهل طريقتنا
أولى من كل وجه بل هو حرام عليهم بسطها بحيث يدركها الخاص والعام فيستعينون بها
المفسدون على فسادهم. وغايته إن وضعنا نحن منها في كتبنا إيماء لأصحابنا حيث وثقنا أنه
لا يعرف ما أشرنا إليه سواهم فلا يصل إليها من ليس منهم ولا أبالي من تكذيبه إياي إذا
سلم لي ديني والحمد لله.

فأما الواو فهو حرف شريف له وجوه كثيرة ومآخذ عزيزة وهو أول عدد تام فإن له من
العدد ستة فأجزأؤه مثله وهي النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد فإذا

جمعت السدس إلى الثلث إلى النصف كان مثل الكل فيعطى الواو عند أصحاب الحروف ما تعطيه الستة من العدد عند العدديين كالفيثاغوريين ومن جرى على مذهبيهم، وهو مولد أعني حرف الواو عن حرفين شريفيين وهو الباء والجيم، والباء لها رتبة العقل الأولى لأنه الموجود الثاني أي في الرتبة الثالثة من الوجود وكذلك الباقي وجود الحروف الرقمية المزدوجة والمفردة.

والجيم أول مقامات الفردانية فإذا ضربت الباء في الجيم كان الخارج الواو فلها أيضاً من قوة أبويها ومزاجها بذلك القدر فكما يفعل الواو وفعل الستة كذلك لها قوة الاثنين والثلاثة ولها حفظ نفسها خاصة ولذلك وجد في الهوية والهوية حفظ الغيب فلا يظهر أبداً فهو قوي من هذا الوجه من جميع الحروف إلا الهاء فإن الهاء تحفظ نفسها وغيرها والواو يحفظ نفسه خاصة والهاء والواو عين الهو التي يقال لها الهوية والغير التي تحفظه الهاء هو كاف الكون وهو ظل كن لأن كن ذات ظلها الكون لأن نور الذات الإلهي لما ضرب في ذات كن امتد له ظل وهو عين الكون فبين الكون والحق تعالى حجاب كن وارتبطت الكاف بالنون لأن النون هي الخمسون التي عشرها الهاء كالخمس الصلوات الحافظة درجات الخمسين صلاة كما جاء في البخاري: «هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لدي» فالخمس عين الخمسين من هذا الوجه.

والكاف إنما تحفظه الهاء وقد زالت عنه في كن فاعتمد على النون حيث كانت هي الهاء فانحفظ وجوده بها وعن هذه المحافظة في كن انحفظ الكون من العدم فإن كن لا تخرج الأمر من الوجود إلى العدم فإنه نقيض ذاته فهو يوجد ولا يعدم أصلاً لحقيقة ذاته، وإنما الأشياء إذا انعدمت فبوجوه غير هذه نعرفها وقد ذكرناها في أماكنها.

ثم إن الواو لتحققها بالهاء وجدت على صورتها في نوع أشكال الهاء وصلت الهاء أو قطعت فإن كانت مقطوعة فشكلها هكذا - ه - فهي واو مقلوبة أو كذا - ه - فهي رأس الواو، وكيفما كانت فما زالت عن الواو وكيف تزول والنسبة تحوي على الخمسة احتواء طبعياً لا يصح غيره.

وإن وصلت فالهاء شكلان والواو موجودة في الشكلين فشكل هكذا - ه - فتراها فيها وشكل هكذا فتراها فيها مقلوبة وفي الأول مستقيمة.

وهذا كله دليل على قوة نسبة الروحاني إلى الجناب العالي والواو دليله عندنا، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو القاسم بن قسي في كتاب خلع النعلين له فمن وقف على أسرار الواو تنزل بها الروحانيات العلى تنزلاً شريفاً وهي الدليل أيضاً لنا على وجود الصورة فينا في

قوله إن الله خلق آدم على صورته.

وبينهما حجاب الأحدية الذي هو الألف فظهر عين الكون على صورة المكون وحال بينهما حجاب العزة الأحمى والأحدية العظمى فتميزت الذوات، فإذا نظرت الكون من حيث الصورة قلت: عدماً فإن الصورة هي الهو فإذا نظرت من حيث ذاته قلت وجوداً، ولا تعرف ذلك ما لم تعرف الفاصل بين الواوين وهو الألف فيعرفك إن هذا ليس هذا، وصورة نطق الواو هكذا - واو - فالواو الأولى واو الهوية والهاء مدرجة فيها اندراج الخمسة في الستة فأغنت عنها، والواو الأخرى واو الكون وظهرت الواو في الكون والمكون إن شئت واو الهوية ثم هي أيضاً في الواسطة التي بين الهوية والكون وهي كن غيباً غابت من أجل الأمر فإنها لو ظهرت عند الأمر لما ظهر الكون إذ لا طاقة له على مشاهدة الهو وكانت تزول حقيقة الهو فإن الهو يناقض الشهادة فهو الغيب المطلق.

ولما كانت هذه الواو لا تقبل الحركات أبداً ما دامت حرف علة لم تزل ساكنة وسكنت النون بحكم صيغة الأمر فغابت الواو لاجتماع الساكنين إذ لا يصح اجتماعهما فبقيت غيباً من أجل ظهور الكون في مقام السكون ولا واسطة بينهما لغيب النون عنها فغابت.

والميم في المكون زائدة ليست بأصلية والعارض لا ثبات له، وغيب الواو من كن عارض من أجل السكون فإذا زال السكون بالكثرة رجعت الواو فقال: كونوا فظهرت الصورة واحدة في الثلاثة بزوال العارض، فكان عين المكون عين كن عين الكون كون كون أو مكون إن شئت والميم زائدة كما كانت في المكون فتحقق هذه الإشارات إلى دقائق المعرفة بالله تعالى من حيث الأسرار الإلهية المدلول عليها بكل وجه، فانظر ما أعجب هذا السريان ولها وجوه جمّة من هذه الباب.

فأما النون فإن الواو الذي له حجاب بينهما أعني فإنه ما ظهر منه في الرقم سوى نصف الدائرة مثل ما ظهر من الفلك، ومثل غيب، وكذلك الفلك نصف الكرة ظاهر أبداً ونصفه غائب عن الحس، وعلتنا في عدم إدراكه كوننا في الأرض فالأرض هي الحجاب عليه فما ندركه وكذلك نشأ في عالم الطبع وظلمته حجبتنا عن إدراك عالم الأرواح الذي هو النصف الآخر من كرة النشأة فلا نشاهد إلا آثاره.

فالنون الظاهرة في كن عنها ظهرت المحسوسات والنصف الآخر المغيّب المقدر عليها هكذا عنه ظهرت الروحانيات.

فالواحد الجسماني ظهر عن الفهوانية والروحاني ظاهر عن معنى الفهوانية، والواو روحانية الذات فتأخذ المواهب من النصف وتلقيه إلى النصف الآخر الجسماني، ولروحانيتهما

اتصلت النون الروحانية دون الجسمانية فأخذها منها أخذ اتصال وتعشق وإلقاؤها على النون الجسمانية إلقاء تبليغ، ولهذا هي قليلة اللبث عدنا، وصورة الاتصال هكذا «ن» وهذا هو المقام الجبرئيلي ويعطي المواهب مجملة من غير تفصيل فيفصلها الواو وهو القلم عالم التسطير عند الإلقاء وهذه النون الأخرى له كاللوح فالأمور مفصلة عندها بالقوة من حيث العلم ومن حيث ما هي نون، فهي لمن شاهدها صورة إجمال لا يعرف الناظر فيها ما وراءها وما يحمله حتى ينبعث الترجمان الذي هو اللسان وهو قلم الأقلام فسطر في لوح سمع المخاطب ما أجمله نونه فيعرف السامع بعض ما عنده وهو قدر ما سطر، فإن ارتقوا إلى إلقاء الهمم هناك تكون الأقلام والواوات الروحانية فتلقى على الأسماع من حيث وجه الروحانية منها فتعقل التفصيل في المجمل ولا واسطة ظاهرة (نزل به الروح الأمين على قلبك) ولها الخمسون من حيث ما هي محسوسة والخمسون من حيث ما هي معقولة.

والواو لها الستة من حيث ثم جهات وهي ذات النون الجسمية ذات المقدار والشكل، فالنون مائة لمائة اسم اسم إلهية، لمائة درك ناري عقابي إن كان شقياً، ويكفي هذا القدر في النون فإن البسط فيها يؤدي إلى إبراز ما لا يسعني إبرازه فإن النون سر عظيم هو باب الجود والرحمة.

وأما الميم فإن لآدم ومحمد عليهما الصلاة والسلام والياء بينهما سبب الوصلة لهما فإنه حرف علة، فعمل محمد عليه السلام في آدم بالياء عملاً روحانياً من هذا العمل كانت روحانيته وروحانية كل مدبر في الكون من النفس الكلية إلى آخر موجود وهو الروح الإنساني «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وعمل آدم في محمد عليهما السلام بواسطة الياء عملاً جسمانياً، من هذا العمل كانت جسمانية كل إنسان في العالم وجسمانية محمد ﷺ، فآدم أبو محمد وأبونا وأبو عيسى في الجسمية ومحمد أبو آدم، وأبونا وجد عيسى في الروحانيات.

فإن أبا عيسى روح القدس من مقام الجسدية وعالم التمثيل، وروح القدس ابن لمحمد ﷺ من حيث هو روح فهو جد لعيسى على هذا النظام العجيب وإن كان توجهه على جسدية عيسى لما استوى في الرحم الأقدس مثل استواء كل نطفة فأعطاه بذلك التوجه الروحانية فهو أبوه مثلنا.

ولما كان الالتحام عن الصورة القدسية بالمحل الأشرف لهذا سميناه جداً حتى ننبه على نشأته الجسدية أنها لم تكن لآدم من جميع الجهات مثلنا، وإن لآدم من حيث مريم فيها حظ للروحانية من حيث جسديتها الممثلة فيها حظ، ولما كان مشتركاً وكانت الروحانية غالبية عليه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه، لأن العنصر الروحاني أكثر فيه من العنصر الجسماني،

وكان معصوماً بالطبع لا يحتاج إلى دافع من خارج كما احتاج غيره.

ثم دل الوجود في الميم في بسم الله الرحمن الرحيم على ما ذكرناه، فإن ميم بسم لآدم لأنه صاحب الأسماء فيها المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأجسام ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] فإن حواء خلقت من آدم فلو خلقت من غيره لم يصدق من نفس واحدة من حيث الجسمية.

وميم الرحيم لمحمد ﷺ لأنه صاحب الرحمة ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] رحمة الإيمان ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] رحمة الإيجاد، فبهذا المد الموجود فيه كان استمداد عالم الأرواح فظهر مقامه في عالم الأجسام آخراً ومقام آدم أولاً، ف قيل بسم الله الرحمن الرحيم بالجسمانية، الآخر بالروحانية، فأول من تشقق الأرض عنه غداً محمد عليه السلام فتبدو روحانيته من أرض جسمانية فيخلع عليه ويقرب.

ولهذا الميم أسرار لا من حيث هذا المقام كثيرة تركناها أيضاً مثل النون، وهذه الياء متصلة باليمين لأنها علة ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] فاتصل الأمر بيننا وبينه من هذا الوجه فلهذا اتصلت الياء باليمين بخلاف الروح.

ولهذا قال: ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ﴿أَلَنْتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وهذا كله يعطى الاتصال فلهذا اتصلت الياء هكذا «ميم» واتصلت الواو بالنون الأولى دون الثانية لما ذكرناه «نون» ولم يتصل الألف بالواوين لما ذكرناه هكذا «و» فتحقق هذا الحكم وانتهى الغرض.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت الرسالة بعونه

كتاب نقش الفصوص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم بارك علي وتممه

١ - فص: - حكمة الهية في كلمة - آدمية اعلم أن الأسماء الحسنى تطلب بذواتها وجود العالم فأوجد الله العالم جسداً مسوى وجعل روحه آدم عليه السلام وأعني بآدم وجود العالم الإنساني وعلمه الأسماء كلها فإن الروح هو مدبر البدن بما فيه من القوى وكذلك الأسماء للإنسان الكامل بمنزلة القوى ولهذا يقال في العالم إنه الإنسان الكبير ولكن بوجود الإنسان فيه وكان الإنسان مختصراً من الحضرة الإلهية ولذلك خصه بالصورة فقال إن الله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن.

وجعله الله العين المقصودة من العالم كالنفس الناطقة من الشخص الإنساني ولهذا تخرب الدنيا بزواله وتنتقل العمارة إلى الآخرة من أجله فهو الأول بالقصد والآخر بالإيجاد والظاهر بالصورة والباطن بالسورة أي المنزلة فهو عبد الله ورب بالنسبة للعالم ولذلك جعله خليفة وأبناءه خلفاء ولهذا ما ادعى أحد من العالم الربوبية إلا الإنسان لما فيه من القوة وما أحكم أحد من العالم مقام العبودية في نفسها إلا الإنسان فعبد الحجارة والجمادات التي هي أنزل الموجودات فلا أعز من الإنسان بربوبيته ولا أذل منه بعبوديته فإن فهمت فقد أبنت لك عن المقصود بالإنسان فانظر إلى عزته بالأسماء الحسنى وطلبها إياه تعرف عزته ومن ظهوره بها تعرف ذلته فافهم ومن هنا تعلم أنه نسخة من الصورتين الحق والعالم.

٢ - فص: - حكمه نفثية في كلمة شيثية - اعلم أن عطيات الحق على أقسام، منها أنه يعطي لينعم خاصة من اسمه الوهاب وهي على قسمين هبة ذاتية وهبة أسمائية، فالذاتية لا تكون إلا بتجل للأسماء وأما الأسمائية فتكون مع الحجاب ولا يقبل القابل هذه الأعطية إلا بما هو عليه من الاستعداد وهو قوله: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] فمن ذلك الاستعداد قد يكون العطاء عن سؤال بالحال لا بد منه أو عن سؤال بالقول، والسؤال بالقول على قسمين، سؤال بالطبع، وسؤال امتثال للأمر الإلهي، وسؤال بما تقتضيه الحكمة

والمعرفة لأنه أمير مالك يجب عليه أن يسعى في إيصال كل ذي حق إلى حقه مثل قوله، إن لأهلك عليك حقاً ولنفسك ولعينك، ولزورك، الحديث.

٣ - فص: - حكمة سبوحية في كلمة نوحية - التنزيه من المنزه تحديد للمنزه إذ قد ميزه عما لا يقبل التنزيه فالإطلاق لمن يجب له هذا الوصف تقييد فما ثم إلا مقيد أعلاه بإطلاقه.

وأعلم أن الحق الذي طلب من العباد أن يعرفوه هو ما جاءت به السنة الشرائع في وصفه فلا يتعداه عقل قبل ورود الشرائع فالعلم به تنزيهه عن سمات الحدوث فالعارف صاحب معرفتين بالله معرفة قبل ورود الشرائع ومعرفة تلقاها من الشرائع ولكن شرطها أن يرد علم ما جاءت به إلى الله فإن كشف له عن العلم بذلك فذلك من باب العطاء الإلهي الذاتي وقد تقدم في شيث.

٤ - فص: - حكمة قدوسية في كلمة إدرسية - العلو علوان علو مكان مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] والعلما والسماء وعلو مكانة ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] والناس بين علم وعمل فالعمل للمكان والعلم للمكانة، وأما علو المفاضلة فقوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فهذا راجع إلى تجليه في مظاهره فهو في تجل ما أعلى منه في تجل آخر مثل ﴿كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ومثل ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [طه: ٤٦] جعت فلم تطعمني.

٥ - فص: - حكمة مهيمنية في كلمة إبراهيمية - لا بد من إثبات عين العبد وحيث يصح أن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله فعم قواه وجوارحه بهويته على المعنى الذي يليق به وهذه نتيجة حب النوافل وأما حب الفرائض فهو أن يسمع الحق بك ويبصر بك والنوافل تسمع به وتبصر به فقدرك بالنوافل على قدر استعداد المحل وتدرك بالفرائض كل مدرك فافهم.

٦ - فص: - حكمة حقية في كلمة إسحاقية - اعلم أن حضرة الخيال هي الحضرة الجامعة الشاملة لكل شيء وغير شيء فلها على الكل حكم التصوير وهي كلها صدق - وتنقسم قسمين، قسم يطابق لما صورته الصورة من خارج وهو المعبر عنه بالكشف، وقسم غير مطابق وفيه يقع التعبير والناس هنا على قسمين، عالم ومتعلم، والعالم يصدق في الرؤيا، والمتعلم يصدق الرؤيا حتى يعلمه الحق ما أراد بتلك الصورة التي حل له.

٧ - فص: - حكمة عليية في كلمة إسماعيلية - وجود العالم الذي لم يكن ثم كان يستدعي نسباً كثيرة في موجدته أو اسماً ما شئت فقل لا بد من ذلك وبالمجموع يكون وجود العالم فالعالم موجود عن إحدى الذات منسوب إليها أحدية الكثرة من حيث الأسماء لأن

حقائق العالم تطلب ذلك منه ثم العالم إن لم يكن ممكناً فما هو قابل للوجود فما وجد العالم إلا عن أمرين، عن اقتدار إلهي منسوب إليه ما ذكرناه، وعن قبول فإن المحال لا يقبل التكوين ولهذا قال تعالى عند قوله: ﴿كُنْ﴾ قال: ﴿فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فنسب إلى العالم من حيث قبوله.

٨ - فص: - حكمة روحية في كلمة يعقوبية - الدين عند الله الإسلام ومعناه الانقياد ومن طلب منه أمراً فانقاد إلى الطالب فيما طلب فهو مسلم فافهم فإنه نسري والدين دينان دين مأمور به. وهو ما جاءت به الرسل ودين معتبر وهو الابتداع الذي فيه تعظيم الحق فمن رعاه حق رعايته ابتغاء رضوان الله فقد أفلج والأمر الإلهي أمران - أمر بواسطة فما فيه من الأمر الإلهي إلا صيغته واسطة وهو الذي لا يتصور مخالفته وبواسطة قد يخالف وليس وأمر بلا المأمور بلا واسطة وإلا لكان خاصة لا الموجود.

٩ - فص: - حكمة نورية في كلمة يوسفية - النور يكشف ويكشف به وأتم الأنوار وأعظمها نفوذ النور الذي يكشف به ما أراد الله بالصور المتجلية المرئية في النوم وهو التعبير لأن الصورة الواحدة تظهر له معان كثيرة مختلفة يراد منها في حق صاحب الصورة معنى واحد فمن كشفه بذلك النور فهو صاحب النور فإن الواحد يؤذن فيحج وآخر يؤذن فيسرق وصورة الأذان واحدة وآخر يؤذن فيدعو إلى الله على بصيرة والآخر يؤذن فيدعو إلى ضلالة.

١٠ - فص: - حكمة أحدية في كلمة هودية - غايات الطرق كلها إلى الله والله غايتها فكلها صراط مستقيم لكن تعبدنا الله بالطريق الموصول إلى سعادتنا خاصة وهو ما شرعه لنا فلأول وسعت رحمته كل شيء فالمال إلى السعادة حيث كان العبد وهو الوصول إلى الملائم ومن الناس من نال الرحمة من عين المنة ومنهم من نالها من حيث الوجوب ونال سبب حصولها من عين المنة، وأما المتقي فله حالان حال يكون فيه وقاية لله من المذام وحال يكون الله له وقاية فيه وهو معلوم.

١١ - فص: - حكمة فتوحية في كلمة صالحية - لما أعطت الحقائق أن النتيجة لا تكون إلا عن الفردية والثلاثة أول الأفراد جعل الله إيجاد العالم عن نفسه وإرادته وقوله، والعين واحدة والنسب مختلفة، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ولا يحجبك تركيب المقدمات في النظر في المعقولات فإنها وإن كانت أربعة فهي ثلاثة لكون المفرد الواحد من الأربعة يتكرر في المقدمتين فافهم، فالتثليث معتبر في الانتاج والعالم نتيجة بلا شك.

١٢ - فص: - حكمة قلبية في كلمة شعيبية - اعلم أن القلب وإن كان موجوداً من رحمة

فإنه أوسع من رحمة الله لأن الله أخبر أن قلب العبد وسعه ورحمته لا تسعه فإنها لا تتعلق حكمها إلا بالحوادث وهذه مسألة عجيبة إن عقلت، وإذا كان الحق كما ورد في الصحيح يتحول في الصور مع أنه في نفسه لا يتغير من حيث هو فالقلوب له كأشكال الأوعية للماء يشكل يشكلها مع كونه لا يتغير عن حقيقته فافهم ألا ترى أن الحق كل يوم هو في شأن كذلك القلب يتقلب في الخواطر ولذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] ولم يقل، عقل، لأن العقل يتقيد بخلاف القلب فافهم.

١٣ - فص: حكمة ملكية في كلمة لوطية - قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِّن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الروم: ٥٤] فالضعف الأول بلا خلاف ضعف المزاج في العموم والخصوص والقوة التي بعده قوة المزاج وينضاف إليه في الخصوص قوة الحال، والضعف الثاني ضعف المزاج وينضاف إليه في الخصوص ضعف المعرفة أي المعرفة بالله بضعفه حتى يلصقه بالتراب فلا يقدر على شيء فيصير في نفسه عند نفسه كالصغير عند أمه الرضيع ولذلك قال لوط ﴿أَوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] يريد القبيلة ويقول رسول الله ﷺ، «لرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، يريد ضعف المعرفة» فالركن الشديد هو الحق مدبره ومربيه.

١٤ - فص: - حكمة قدرية في كلمة عزيزية - لله الحجة البالغة على خلقه لأنهم المعلومون والمعلوم يعطي العالم ما هو عليه في نفسه وهو العلم ولا أثر للعلم في المعلوم فما حكم على المعلوم إلا به واعلم أن كل رسول نبي وكل نبي ولي وكل رسول ولي.

١٥ - فص: - حكمة نبوية في كلمة عيسوية - من خصائص الروح أنه ما يمر على شيء إلا حيي ذلك الشيء ولكن إذا حيي يكون تصرفه بحسب مزاجه واستعداده لا بحسب الروح فإن الروح قدسي ألا ترى أن النفخ الإلهي في الأجسام المسواه مع نزاهته وعلو حضرته كيف يكون تصرفه بقدر استعداد المنفوخ فيه ألا ترى السامري لما عرف تأثير الأرواح كيف قبض فخار العجل فذلك استعداد المزاج.

١٦ - فص: - حكمة رحمانية في كلمة سليمان - لما كانت له من حيث لا يشعر قالت بالقوة في كتاب سليمان إنه كتاب كريم وما ظهر آصف بالقوة على الإتيان بالعرش دون سليمان إلا ليعلم الحق أن شرف سليمان عظيم إذ كان لمن هو حسنة من حسناته له هذا الاقتدار ولما قالت في عرشها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عثور على علمها بتجديد الخلق في كل زمان فأتت بكاف التشبيه وأراها صرح القوارير كأنه لجة وما كان لجة كما أن العرش المربي ليس عين العرش من حيث الصورة والجوهر واحد وهذا سار في العالم كله والملك الذي لا

ينبغي لأحد من بعده الظهور بالمجموع على طريق التصرف فيه تسخير الرياح تسخير الأرواح النارية لأنها أرواح في رياح بغير حساب لست محاسباً عليها.

١٧ - فص: - حكمة وجودية في كلمة داودية - وهب لداود فضلاً معرفة به لا يقتضيها عمله فلو اقتضاها عمله لكانت جزاء، وهب له فضلاً سليمان عليه السلام فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [ص: ٣٠] وبقي قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠] هل هذا العطاء جزاء أو بمعنى الهبة وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣] ببنية المبالغة ليعم شكر التكليف وشكر التبرع فشكر التبرع أفلا أكون عبداً شكوراً، قول النبي عليه السلام وشكر التكليف ما وقع به الأمر مثل واشكروا لله وأشكروا نعمة الله وبين الشكرين ما بين الشكورين لمن غفل عن الله، وداود منصوب على خلافته والإمامة وغيره ليس كذلك، ومن أعطى الخلافة فقد أعطى التحكم والتصرف في العالم ترجيع الجبال معه بالتسبيح والطير توذن بالموافقة فموافقة الإنسان له أولى.

١٨ - فص: - حكمة نفسية في كلمة يونسية - عادت بركته على قومه لأن الله أضافهم إليه وذلك لغضبه فكيف لو كان فيه حاله حال الرضا فظن بالله خيراً فنجاه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين يعني الصادقين في أحوالهم ومن لطفه أنبت عليه شجرة من يقطين إذ خرج كالفرخ فلو نزل عليه الذباب أذاه لما ساهمهم أدخل نفسه فيهم فعمت الرحمة جميعهم.

١٩ - فص: - حكمة غيبية في كلمة أيوبية - لما لم يناقض الصبر الشكوى إلى الله ولا قاوم الاقتدار الإلهي لصبره وعلم هذا منه أعطاه الله أهله ومثلهم معهم وركض برجله عن أمر ربه فأزال بتلك الركضة آلامه ونبع الماء الذي هو سر الحياة السارية في كل حي طبيعي فمن ماء خلق وبه يرى فجعله رحمة له وذكرى لنا وله ورفق به فيما نذره تعليماً لنا ليطمئن في الموفين بالنذر وجعلت الكفارة في أمة محمد ﷺ لسترهم عما يعرض لها من العقوبة في الحنث والكفارة عبادة والأمر بها أمر بالحنث إذ رأى خيراً مما حلف عليه فراعى الإيمان وإن كان في معصيته فإنه ذاكر لله فيطلب العضو الذاكر نتيجة ذكره إياه وكونه في معصية أو طاعة حكم آخر لا يلزم الذاكر منه شيء.

٢٠ - فص: - حكمة جلالية في كلمة يحيوية - أنزله منزلته في الأسماء فلم يجعل له من قبل سميّاً فبعد ذلك وقع الاقتداء به في اسمه ليرجع إليه وآثرت فيه همة أبيه لما أشرب قلبه من مريم وكانت منقطعة من الرجال فجعله حصوراً بهذا التخيل والحكماء عثرت على مثل هذا فإذا جامع أحد أهله فليخيل في نفسه عند إنزاله الماء أفضل الموجودات فإن الولد يأخذ من ذلك بحظ وافر إن لم يأخذ كله.

٢١ - فص: - حكمة مالكية في كلمة زكرياوية - لما فاز زكريا برحمة الربوبية ستر نداه ربه عن أسماع الحاضرين فناده بسرّه فأتج من لم تجر العادة بإنتاجه فإن العقم مانع ولذلك قال الريح العقيم وفرق بينها وبين اللواقح وجعل الله يحيى ببركة دعائه وارث ما عنده فأشبهه وارث جماعة من آل إبراهيم.

٢٢ - فص: - حكمة إيناسية في كلمة إيناسية - يقول أحسن الخالقين ويقول الله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] فخلق الناس التقدير وهذا الخلق الآخر الإيجاد.

٢٣ - فص: - حكمة إحسانية في كلمة لقمانية - لما علم لقمان أن الشرك ظلم عظيم للشريك مع الله فهو من مظالم العباد وله الوصايا بالجناب الإلهي وصايا المرسلين وشهد الله له بأنه أتاه الحكمة فحكم بها نفسه وجوامع الخير.

٢٤ - فص: - حكمة إمامية في كلمة هارونية - هارون لموسى بمنزلة نواب محمد ﷺ بعد انفصاله إلى ربه فلينظر الوارث من ورث وفيما استنيب فتعينه صحة ميراثه ليقوم فيه مقام رب المال فمن كان على أخلاقه في تصرفه كان كأنه هو.

٢٥ - فص: - حكمة علوية في كلمة موسوية - سرت إليه حياة كل من قتله فرعون من أجله ففراره لما خاف إنما كان لإبقاء حياة المقتولين فكأنه في حق الغير فأعطاه الله الرسالة والكلام والإمامة التي هي الحكم كلمة الله في غير حاجته لاستفراغ همه فيها فعلمنا أن الجمعية مؤثرة وهو الفعل بالهمة ولما علم علم من علم مثل هذا ضل عن طريق هداه حين اهتدى غيره به فأقامه مقام القرآن في المثل المضروب فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] وهم الخارجون عن طريق الهدى الذي فيه.

٢٦ - فص: - حكمة صمدية في كلمة خالدية - جعل آيته بعد انتقاله إلى ربه فأضاع الآله وأضاع قومه فأضاعوه ولهذا قال ﷺ في ابنته مرحباً بابنته نبي أضاعه قومه وما أضاعه إلا بنوه حيث لم يتركوا الناس ينبشونه لما يطرأ على العرب من العار المعتاد.

٢٧ - فص: - حكمة فردية في كلمة محمدية - معجزته القرآن والجمعية إعجاز على أمر واحد لما هو الإنسان عليه من الحقائق المختلفة كالقرآن بالآيات المختلفة بما هو كلام الله مطلقاً وبما هو كلام الله وحكاية الله فمن كونه كلام الله مطلقاً هو معجز وهو الجمعية وعلى هذا يكون جمعية الهمة ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] أي ما ستر عنه شيء ولا ﴿بِضَيِّينَ﴾ [التكوير: ٢٤] فما بخل بشيء مما هو لكم ولا بظنين أي ما يتهم في أنه بخل بشيء

من الله هو لكم الخوف مع الضلال قال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢] أي ما
خاف في حيرته لأنه من علم أن الغاية في الحق هي الحيرة فقد اهتدى فهو صاحب هدى
وبيان في إثبات الحيرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم..

الحمد لله الذي هدانا لهذا... [النجم: ٢٣]...
[النجم: ٢٤]...
[النجم: ٢٥]...
[النجم: ٢٦]...
[النجم: ٢٧]...
[النجم: ٢٨]...
[النجم: ٢٩]...
[النجم: ٣٠]...
[النجم: ٣١]...
[النجم: ٣٢]...
[النجم: ٣٣]...
[النجم: ٣٤]...
[النجم: ٣٥]...
[النجم: ٣٦]...
[النجم: ٣٧]...
[النجم: ٣٨]...
[النجم: ٣٩]...
[النجم: ٤٠]...
[النجم: ٤١]...
[النجم: ٤٢]...
[النجم: ٤٣]...
[النجم: ٤٤]...
[النجم: ٤٥]...
[النجم: ٤٦]...
[النجم: ٤٧]...
[النجم: ٤٨]...
[النجم: ٤٩]...
[النجم: ٥٠]...
[النجم: ٥١]...
[النجم: ٥٢]...
[النجم: ٥٣]...
[النجم: ٥٤]...
[النجم: ٥٥]...
[النجم: ٥٦]...
[النجم: ٥٧]...
[النجم: ٥٨]...
[النجم: ٥٩]...
[النجم: ٦٠]...
[النجم: ٦١]...
[النجم: ٦٢]...
[النجم: ٦٣]...
[النجم: ٦٤]...
[النجم: ٦٥]...
[النجم: ٦٦]...
[النجم: ٦٧]...
[النجم: ٦٨]...
[النجم: ٦٩]...
[النجم: ٧٠]...
[النجم: ٧١]...
[النجم: ٧٢]...
[النجم: ٧٣]...
[النجم: ٧٤]...
[النجم: ٧٥]...
[النجم: ٧٦]...
[النجم: ٧٧]...
[النجم: ٧٨]...
[النجم: ٧٩]...
[النجم: ٨٠]...
[النجم: ٨١]...
[النجم: ٨٢]...
[النجم: ٨٣]...
[النجم: ٨٤]...
[النجم: ٨٥]...
[النجم: ٨٦]...
[النجم: ٨٧]...
[النجم: ٨٨]...
[النجم: ٨٩]...
[النجم: ٩٠]...
[النجم: ٩١]...
[النجم: ٩٢]...
[النجم: ٩٣]...
[النجم: ٩٤]...
[النجم: ٩٥]...
[النجم: ٩٦]...
[النجم: ٩٧]...
[النجم: ٩٨]...
[النجم: ٩٩]...
[النجم: ١٠٠]...

الحمد لله الذي هدانا لهذا... [النجم: ٢٣]...
[النجم: ٢٤]...
[النجم: ٢٥]...
[النجم: ٢٦]...
[النجم: ٢٧]...
[النجم: ٢٨]...
[النجم: ٢٩]...
[النجم: ٣٠]...
[النجم: ٣١]...
[النجم: ٣٢]...
[النجم: ٣٣]...
[النجم: ٣٤]...
[النجم: ٣٥]...
[النجم: ٣٦]...
[النجم: ٣٧]...
[النجم: ٣٨]...
[النجم: ٣٩]...
[النجم: ٤٠]...
[النجم: ٤١]...
[النجم: ٤٢]...
[النجم: ٤٣]...
[النجم: ٤٤]...
[النجم: ٤٥]...
[النجم: ٤٦]...
[النجم: ٤٧]...
[النجم: ٤٨]...
[النجم: ٤٩]...
[النجم: ٥٠]...
[النجم: ٥١]...
[النجم: ٥٢]...
[النجم: ٥٣]...
[النجم: ٥٤]...
[النجم: ٥٥]...
[النجم: ٥٦]...
[النجم: ٥٧]...
[النجم: ٥٨]...
[النجم: ٥٩]...
[النجم: ٦٠]...
[النجم: ٦١]...
[النجم: ٦٢]...
[النجم: ٦٣]...
[النجم: ٦٤]...
[النجم: ٦٥]...
[النجم: ٦٦]...
[النجم: ٦٧]...
[النجم: ٦٨]...
[النجم: ٦٩]...
[النجم: ٧٠]...
[النجم: ٧١]...
[النجم: ٧٢]...
[النجم: ٧٣]...
[النجم: ٧٤]...
[النجم: ٧٥]...
[النجم: ٧٦]...
[النجم: ٧٧]...
[النجم: ٧٨]...
[النجم: ٧٩]...
[النجم: ٨٠]...
[النجم: ٨١]...
[النجم: ٨٢]...
[النجم: ٨٣]...
[النجم: ٨٤]...
[النجم: ٨٥]...
[النجم: ٨٦]...
[النجم: ٨٧]...
[النجم: ٨٨]...
[النجم: ٨٩]...
[النجم: ٩٠]...
[النجم: ٩١]...
[النجم: ٩٢]...
[النجم: ٩٣]...
[النجم: ٩٤]...
[النجم: ٩٥]...
[النجم: ٩٦]...
[النجم: ٩٧]...
[النجم: ٩٨]...
[النجم: ٩٩]...
[النجم: ١٠٠]...

كتاب اصطلاح الصوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وعليك أيها الولي الحميم والصفى الكريم
ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله
بينهم لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا أهل طريقنا مع عدم
معرفتهم بما توطأنا عليه من الألفاظ التي بها نفهم بعضاً عن بعض كما جرت عادة أهل كل
فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك ولم أستوعب الألفاظ كلها ولكن اقتصرت منها على الأهم
فالأهم وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل من ينظر فيه بأقل نظرة لما فيها من
الاستعارة والتشبيه وقد أوردنا ذلك لفظة لفظة والله المؤيد والنافع بمنه لا رب غيره.

فمن ذلك الهاجس: يعبرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطيء
أبداً وقد يسميه سهل السبب الأول ونقر الخاطر، وإذا تحقق في النفس سموه إرادة، وإذا
تردد الثالثة سموه همماً، وفي الرابعة سموه عزمًا، وعند التوجه إلى الفعل إن كان خاطر فعل
سموه قصداً ومع الشروع في الفعل سموه نية.

الإرادة: وهي لوعة في القلب يطلقونه ويريدون بها إرادة التمني وهي منه وإرادة الطبع
ومتعلقها الحظ النفسي وإرادة الحق ومتعلقها الإخلاص.

المريد: هو المتجرد عن إرادته وقال أبو حامد هو الذي صح له الأسماء في جملة
المنقطعين إلى الله بالاسم.

المراد: عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له فهو يجاوز الرسوم كلها
والمقامات من غير مكابدة.

السالك: هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه فكان العلم له عيناً.

المسافر: هو الذي سافر بفكره في المعقولات وهو الاعتبار فعبّر من العدو الدنيا إلى

العدوة القصوى .

السفر: فعبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر .

الطريق: فعبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها .

الوقت: فعبارة عن حالك في زمن الحال لا تعلق له بالماضي والمستقبل .

الأدب: فوقتاً يريدون به أدب الشريعة، ووقتاً أدب الخدمة، ووقتاً أدب الحق، وأدب الشريعة الوقوف عند مرسومها، وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها، وأدب الحق أن تعرف مالك وماله والأديب من أهل النشاط .

المقام: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام .

الحال: فهو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل بعد المثل إلى أن يصفو وقد لا يعقبه المثل ومن هنا نشأ الخلاف فمن أعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه مثل قال بعدم دوامه وقد قيل الحال بغير الأوصاف على العبد .

وأما عين التحكيم: فهو تحري الولي بما يراه إظهاراً لمرتبته لأمر يراه .

الإنزعاج: هو أثر الوعظ الذي في قلب المؤمن وقد يطلق ويراد به التحرك للوجد والأنس .

الشريعة: عبارة عن الأخذ بالتزام العبودية .

الشطح: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين .

العدل والحق المخلوق به: فعبارة عن أول موجود بواطنهم أثر البتة وهم أعلى الطائفة وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية .

وأما المكان: فعبارة عن منزل في البساط لا يكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجاوزوها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت .

القبض: حال الخوف في الوقت وقيل وارد يرد على القلب توجهه إشارة إلى عتاب وتأديب وقيل أحد وارد الوقت .

البسط: هو عندنا من يسع الأشياء ولا يسعه شيء وقيل هو حال الرجا وقيل هو وارد

توجهه إشارة إلى قبول ورحمة وأنس.

الهيبة: هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب وقد تكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال.

الأنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال الجلال.

التواجد: استدعاء الوجد وقيل إظهار حالة الوجد من غير وجد.

الوجد: ما يصادف القلب من الأحوال المغيبة له عن شهوده.

الوجود: وجدان الحق في الوجد.

الجلال: نعوت القهر من الحضرة الإلهية.

الجمال: نعوت الرحمة والإلطف من الحضرة الإلهية.

الجمع: إشارة إلى حق بلا خلق.

جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية في الله.

الفرق: إشارة إلى خلق بلا حق وقيل مشاهدة العبودية.

البقاء: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

الفناء: رؤية العبد للعلة بقيام الله على ذلك.

الغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه.

الحضور: حضور القلب بالحق عند غيبته.

الصحو: رجو الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي.

السكر: غيبة بوارد قوي.

الذوق: أول مبادي التجليات الإلهية.

الشرب: أوسط التجليات.

الري: غاياتها في كل مقام.

المحو: رفع أوصاف العادة وقيل إزالة العلة وقيل ما ستره الحق ونفاه.

الإثبات: إقامة أحكام العبادة وقيل إثبات المواصلات.

القرب: القيام بالطاعة وقد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين.
 البعد: الإقامة على المخالفات وقد يكون البعد منك ويختلف باختلاف الأحوال فيدل
 على ما يراد به قرائن الأحوال وكذلك القرب.
 الحقيقة: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ﴿مَا مِنْ
 دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.
 النفس: روح يسلطه الله تعالى على نار القلب ليطفئ شررها.
 الخاطر: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانياً كان أو ملكياً أو نفسياً أو
 شيطانياً من غير إقامة وقد يكون لكل وارد لا تعمل لك فيه.
 علم اليقين: ما أعطاه الدليل.
 عين اليقين: ما أعطته المشاهدة والكشف.
 حق اليقين: ما حصل من العلم بما أريد له ذلك المشهود.
 الوارد: ما يرد على القلوب من الخواطر المحموده من غير تعمل ويطلق بإزاء كل ما
 يرد من كل اسم على القلب.
 الشاهد: ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد فذلك هو الشاهد وهو على
 حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود.
 النفس: ما كان معلوماً من أوصاف العبد.
 الروح: يطلق بإزاء الملقى إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص.
 السر: يطلق فيقال سر العلم بإزاء حقيقة العالم به، وسر الحال بإزاء معرفة مراد الله
 فيه، وسر الحقيقة بإزاء ما تقع به الإشارة.
 الوله: إفراط الوجد.
 الوقفة: هو الحبس بين المقامين.
 الفترة: خمود نار البداية المحرقة.
 التجريد: إماطة السوى والكون من القلب والسر.
 التفريد: وقوفك بالحق معك.

اللطيفة: كل إشارة رقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة.

العلة: تنبيه الحق لعبده سبب وبغير سبب.

الرياضة: رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد به وبالجمله فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية.

المجاهدة: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال.

الفصل: قوت ما ترجوه من محبوبك وهو عندنا تميزك عنه بعد حال الاتحاد.

الذهاب: غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه كان المحبوب ما كان.

الزمان: السلطان.

الزاجر: واعظ الحق في قلب المؤمن وهو الداعي.

السحق: ذهاب تركيبك تحت القهر.

المحق: فناؤك في عينه.

الستر: كل ما سترك عما يفنيك وقيل عطاء الكون وقد يكون الوقوف مع العادات وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال.

التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

التخلي: اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق.

المحاضرة: حضور القلب بتواتر البرهان وعندنا مجازاة الأسماء بينها بما هي عليها من الحقائق.

المكاشفة: تطلق بإزاء تحقيق الإبانة بالقهر وتطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال وتطلق بإزاء تحقيق الإشارة.

المشاهدة: تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد وتطلق بإزاء رؤية الحق في الأشياء وتطلق بإزاء حقيقة اليقين من غير شك.

المحادثة: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة

لموسى.

المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الروح الأمين على قلبك.

اللوائح: وهي ما تلوح للأسرار الظاهرة من السمو من حال إلى حال وعندنا ما تلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة السلب.

الطوالع: أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار.

اللوامع: ما يثبت من أنوار التجلي في وقتين وقريباً من ذلك.

البوادة: ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة أما موجب فرح وأما موجب ترح.

الهجوم: ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع منك.

التلوين: تنقل العبد في أحواله وهو عند الأكثرين مقام ناقص وعندنا هو أكمل المقامات وحال العبد فيه حال قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

التمكين: عندنا هو التمكن في التلوين وقيل حال أهل الوصول.

الرغبة: رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق.

الرغبة: رهبة الظاهر لتحقيق الوعيد ورهبة الباطن لتقلب العلم ورهبة السر لتحقيق علم السبق.

المكر: إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولا حد.

الاصطلام: نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه.

الغربة: تطلق بإزاء مفارقة الوطن في طلب المقصود ويقال غربة عن الحال من حقيقة النفوذ فيه وغربة عن الحق من الدهش عن المعرفة.

الهمة: تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى وتطلق بإزاء أول صدق المريد وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام.

الغيرة: غيرة في الحق لتعدي الحدود وغيره تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر وغيرها الحق ضفته على أوليائه وهم الضنائن.

الحرية: إقامة حقوق العبودية لله تعالى فهو حر عن ما سوى الله.

المطالعة: توقيعات الحق للعارفين ابتداء وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون.

الفتوح: فتوح العبارة في الظاهر وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح المكاشفة.

الوصل: إدراك الفائق.

الاسم: الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية.

الوسم: نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل.

الزوائد: زيادات الإيمان بالغيب واليقين.

الخضر: يعبر به عن البسط.

اليأس: يعبر به عن القبض.

الغوث: هو واحد الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطي الالتجاء إلى عنايته.

الواقعة: هو ما يرد على القلب من ذلك العالم بأي طريق كان من خطاب أو مثال.

العنقاء: هو الهواء الذي فتح الله فيه به أجساد العالم.

الورقاء: هو النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ.

العقاب: القلم وهو العقل الأول.

الغراب: الجسم الكلي.

الشجرة: الإنسان الكامل.

السمسمة: معرفة تدق عن العبارة.

الدرة البيضاء: العقل الأول.

الزمردة: النفس الكلية.

السبخة: الهباء.

الحرف: اللغة وهو ما يخاطبك به الحق من العبارات.

السكينة: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب.

التداني: معراج المقربين.

التدلي: نزول المقربين ويطلق بإزاء نزول الحق إليهم عند التداني.

التلقي: أخذك ما يرد من الحق عليك.

التولي: رجوعك إليك منه.

الخوف: ما تحذر من المكروه في المستأنف.

الرجاء: الطمع في الأجل.

الصعق: الفناء عند التجلي الرباني.

الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد.

الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.

المخدع: موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين.

الحجاب: كل ما ستر مطلوبك عن عينك.

النوال: الخلع التي تخص الأفراد وقد تكون الخلع مطلقة.

الجرس: إجمال الخطاب بضرب من القهر.

الاتحاد: تصوير الذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد وهو حال.

القلم: علم التفصيل.

الأناية: قولك أنا.

النون: علم الإجمال.

الهوية: الحقيقة في عالم الغيب.

اللوح: محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم.

الأنية: الحقيقة بطريق الاصناف.

الرعوثة: الوقوف مع الطبع.

الإلهية: كل اسم إلهي مضاف إلى البشر.

الخشم: علامة الحق على القلوب من العارفين.

الطبع: ما سبق به العلم في حق كل شخص.

الآلية: كل اسم إلهي مضاف إلى ملك أو روحاني.

لمنصة: مجلي الأعراس وهي تجليات روحانية.

السوي: هو الغير.

الجسد: كل روح ظهر في جسم ناري أو نوري.

النور: كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب.

الظلمة: قد تطلق على العلم بالذات فإنها لا تكشف معها غيرها.

الضياء: رؤية الأعيان بعين الحق.

الظل: وجود الراحة خلف الحجاب.

القشر: كل علم يصون فساد عين المحقق لما يتجلى له.

اللب: ماصين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالكون.

لب اللب: مادة النور الإلهي.

العموم: ما يقع من الاشتراك في الصفات.

الخصوص: أحدية كل شيء.

الإشارة: تكون مع القرب مع حضور القلب وتكون مع البعد.

الغيب: كل ما ستره الحق عنك منك لا منه.

عالم الأمر: ما وجد عن الحق من غير سبب ويطلق بإزاء الملكوت.

عالم الخلق: ما وجد عند سبب ويطلق أيضاً بأزاء عالم الشهادة.

العارف والمعرفة: من أشهده الرب نفسه فظهرت عليه الأحوال والمعرفة حاله.

العالم والعلم: من أشهده الله ألوهيته وذاته ولم يظهر عليه حال والعلم حاله.

الحق: ما وجب على العبد من جانب الله وما أوجبه الحق على نفسه.

الباطل: هو العدم.

الكون: كل أمر وجودي.

الرداء: الظهور بصفات الحق.

الرين: محل الاعتدال في الأشياء.
الكمال: التنزيه عن الصفات وآثارها.
البرزخ: العالم المشهود بين عالم المعاني وعالم الأجسام.
الجبروت: عند أبي طالب هو عالم العظمة وعند الأكثرين العالم الوسط.
الملك: عالم الشهادة.
الملكوت: عالم الغيب.
مالك الملك: هو الحق في حال مجازاة العبد على ما كان أمره به.
المطلع: النظر إلى عالم الكون والناظر بعين الحق.
حجاب العزة: هو العمى والحيرة.
المثل: هو الإنسان وهي الصورة التي فطر عليها.
العرش: مستوى الأسماء المقيدة.
الكرسي: موضع الأمر والنهي.
القدم: ما ثبت للعبد في علم الحق.
العيد: ما يعود على القلب من التجليات بإعادة الأعمال.
الحد: الفصل بينك وبينه.
الصفة: ما طلب المعنى كالعالم.
النعته: ما طلب النسبة كالأول.
الرؤية: المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة حيث كان.
كلمة الحضرة: كن.
اللسن: ما يقع به الإفصاح الإلهي لأذان العارفين.
الهو: الغيب الذي لا يصح شهوده.
الفهونية: خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثل.
السواء: بطون الحق في الخلق والخلق في الحق.

العبودية: من شاهد نفسه لربه مقامه العبودة.

الانتباه: زجر الحق للعبد على طريق العناية.

اليقظة: الفهم عن الله في زجره.

التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً وهي الخلق الإلهية وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفاسفها.

التحلي: الإتيان بالأخلاق الإلهية وعندنا الإتيان بأخلاق العبودية وهو الصحيح فإنه أتم وأزكى.

سر السر: ما انفرد به الحق عن العبد.

جملة هذه الألفاظ مائة وثمان وتسعون. ألفه المؤلف رضي الله عنه بمدينة ملطية في عشر صفر سنة خمس عشرة وستمئة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فرغ بحمد الله وعونه ظهر يوم الأحد ثالث ربيع الثاني أحد شهور سنة سبع وتسعين بعد تسعمائة الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده على ما أنعم ظاهراً وباطناً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.